
عزيز أباظة
أنات حائرة

عزيز أباظه

أنات حائرة

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

فهرست

صفحة

صفحة

تصدير

بقلم الدكتور طه حسين بك

لا يلبثُ القُرناء أن يتفرّقوا
ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ

كذلك قال جرير منذ اثنى عشر قرناً ؛ وهو معنى ردّدته حكمةُ الحكماء ، وكتبُ السماء قبل جرير بقرون طوال .

ونحن نقرأه فى الشعرِ والنثر ، وفى كتب الموعظة والدين فتُعجب به عقولنا ، وتتأثرُ به قلوبُنا ، وتأسى له ضمائرُنا . ثم لا نكاد ننصرف عنه لأمر من أمور الدنيا حتى ننساه ، وكأننا لم نره ولم نسمع به . وأغربُ من ذلك أن الحوادثَ تَحْدُثُ ، والنوائبَ تنوب . وفيما تجرى به الحوادثُ ، وفيما تأتى به النوائبُ فى كل لحظة تصديقٌ لهذا المعنى ، وتحقيقٌ لهـذا الخاطر . ولكننا لا نلتفت إلى ذلك ولا نحفل به ، حتى إذا مسّتنا الحوادثُ من قريب ، وطرقتنا النوائب

فى أحب الناس إلينا وآثرِهم عندنا ، جزعنا أشدَّ الجزع ، ووجمنا أعظم الوجوم واستيقنا بأن هذه الحوادث قد اتخذتنا لها غرضاً ، بما رمتنا به من المكروه كأنما بيننا وبين الحوادث والخطوب ثاراتٌ يجب أن تُؤدَّى ، وحقوق يجب أن ترد . وليس لهذا التناقض بين تفكيرنا وسيرتنا مصدرٌ إلا أن قلوبنا أقوى من عقولنا ، وغرائزَنا أشدُّ تحكماً فينا واستئثاراً بنا من بصائرنا .

وهذا النحوُ من الضعف الإنسانى هو فيما أقدر أنبلُ ما فى الناس وأكرمُ ما طويت عليه شيمُهم وخلائقُهم . فهو يدعو إلى الرحمة والإحسان ، وهو يُثير العطف والإشفاق ، وهو يحقق بين الناس التضامنَ والتعاونَ ، وحبَّ الخير ، وتقارضَ البر ، وتبادلَ المعروف . ولو خلى بين عقولنا وحدها وبين الحياة لأصبحت حياتنا صحراء مجدبةً لا خفضَ فيها ولا لين ، ولا راحةَ فيها ولا روح ؛ إنما هو استكشافٌ لقوانين الطبيعة ، وإذعانٌ جاف لهذه القوانين ، وانقيادٌ لهذه الأحكام الصارمة التى يجرى بها القضاء ، كما تنقاد الأدوات لمديرها ومدبرِ أمرها ، لا مودةَ ولا إشفاقَ ، ولا حبَّ ولا حنانَ ، ولا استقاء من هذه الينابيع الغزيرة الحلوة المرة التى تفيض بها قلوبُنا وضمائرُنا عند ما تصيب الحوادثُ بما نحب أو بما نكره .

فإذا نفوسُنا تشقى أو تسعد ، و إذا نحن نرتفع بهذا الشقاء أو هذه السعادة حتى نتجاوز هذه الطبقةَ التى تنزلنا فيها غرائزُنا . و إذا نحن ناس بالمعنى الفلسفى لهذه الكلمة لا نفكر فحسب ، ولكننا نشعر ونقدر ما نشعر به ، نألَمُ ونلَذ ونقدر طبيعةَ الألم وطبيعة اللذة ، نصوِّر ذلك فى نفوسنا وتتأثر به قلوبنا . و إذا نحن نتغنَّى بما نجد من ذلك غناء باسماً مشرقاً حيناً ، وغناء عابساً مظلماً أحياناً . ولكنه غناء على كل حال تحبه الأذن ، وتطمئن إليه النفس ؛ ونجد فيه لضمائرنا غذاء يعصمها من الموت ، ويحميها من الجفوة والجفاء ، ويُشيع فيها هذا الخصبَ الذى يجد الناس فيه خير ما يَزين حياتهم من الفن .

خطرت لى هذه الخواطر الحزينة عند ما لقيتك يا سيدى فى مكتبى بالإسكندرية ، وعند ما استمعت إلى حديثك الذى كان يبلغ قلبى محرقاً لاذعاً كأنه السهام . وأحسبك لاحظت هذا ورأيت أثره فى وجهى ، فأشفقت علىّ واعتذرت إلىّ . ولكننى استزدتك من حديثك ، واستنشدتك من شعرك ، وأحببت حديثك ، وأحببت شعرَك ، لأنهما أتاحا لى هذه اللذةَ المرةَ الأليمةَ ، لذةَ مشاركتِك فيما تجد من حزن ، ومشاطرتك بعض ما تحس من لوعة .

ثم استبقيت شعرك لأنظر فيه ، وقد فعلت . فإذا الشعور الذى

وجدته حين لقيتك واستمعت إليك ، هو هو لم يتغير بزيادة أو نقص رثاء لك ، و إشفاق عليك . فيهما رثاء للناس جميعاً ، و إشفاقٌ على الناس جميعاً . وفيهما قبل كل شيء ، و بعد كل شيء رثاء لنفسي و إشفاقٌ عليها . فالخطوب التي تُلم فتغمرنا بالحزن ، وتُضرم في قلوبنا اللوعة والأسى تكثر وتتنوّع ، وتتباين بتباين أشخاصنا ، وتباين الظروف التي تحيط بنا ؛ ولكنها آخر الأمر متحدةٌ مؤتلفةٌ يشبه بعضُها بعضاً وتنتهي إلى نتيجة واحدة ، هو هـذا الحزن الذي يمس قلوبنا فيخرجنا من أطوارنا ، و يرفعنا عن منازلنا ، ويجعل الممتازين منـا أخياراً دائماً ، و يجعل كثرتنا أخياراً ساعة من نهار أو ساعة من ليل .

فهون عليك إذاً يا سيدي ، واحتمل خطبَك كما احتملته إلى الآن صابراً جلْداً كريماً محزوناً مع ذلك أشدّ الحزن ، متألماً مع ذلك أشدّ الألم ، مُصوِّراً حزنك وألمك في هذه الصور الشعرية السمْحة السهلة القريبة التي تبلغ القلوبَ في غير مشقة ، وتهزها في غير جَهد ، وتدميها في غير عناء . في هذه الصور الشعرية التي إن لم تبلغ من الروعة ما يبلغه فحول الشعراء . فقد بلغت من السماحة والنفاذ إلى القلوب ما يبلغه الشعر الصادق ، الذي يصور عواطف صادقة ، ويترجم عن نفس صادقة .

أنت صادقٌ يا سيدى فى شعورك بالحزن اللاذع والألم الممض ، صادقٌ فى تصويرك لهذا الشعور ، لا تتكثَّرُ ولا تتكلف ولا تبعد ؛ وإنما تحس ، وتنبئنا بمـا تحس ، وتبلغنا أنباء حسك من قريب جداً كأنما تنقلها من قلبك إلى قلوبنا ؛ وأنت على هذا كله قد اخترت لعواطفك ، أو أجريت عواطفك فى لفظ جزْل ، وأسلوب فخْم ، وعُروبة توشك أن تقرب من البداوة أحياناً . والناس يحتملون الآلام كما يستطيعون ، ويستعينون على احتمالها بمـا يتاح لهم من أسباب التجلد والصبر . فمنهم من يلهو عن الألم ، ومنهم من يُغرق فيه ، ومنهم من يلهو عنه بالرياضة والرحلة والتنقل فى الأرض ، ومنهم من يلهو عنه بالعكوفِ على الكتب أو الانصراف إلى اللذات القريبة أو البعيدة الرفيعةِ أو الوضيعةِ .

وقد أثر فى نَفسى احتمالُك للألم ومعاشرتُك له ، واستعانتك على ذلك بهذه الأسباب الهادئة الكريمةِ الحلوة . فأنت تستعين على آلامك بالعمل ، وأنت تستعينُ عليها برعاية أبنائك والعناية بهم ، وأنت تستعينُ عليها بهذه العشرة الحلوة الحزينة التى تبسم لك ابتساماً شاحباً . ولكنه يشعر قلبكَ رضى فيــه الأملُ واليأسُ جميعاً . عشرة الذكرى التى تبسم لك إذا أصبحت ، وتبسم لك إذا أمسيت ،

وتبسم لك أثناء هذا العمل فتضع عنك بعض أثقاله ، وتبسم لك أثناء النوم فتردك إلى هذا الأرق الذى ينعم به المحبون وإن كان كله شقاء وبؤساً . وأنت تستعين على آلامك حين تحس هذا الضعف الذى يوشك أن يدفعك إلى القنوط بهذا السفر الخصب الذى يُرضى شعورَك الدينىّ ، ويرضى شعورَك العربىّ ، ويرضى إكبارك للسلف ، وإعجابك بالماضى ، وأملَك فى المستقبل ، وتقديرك لمثلنا العليا .

فأنت ترتحل إلى الحجاز فتحج البيت ، وتقف فى عرفات ، وتُلم بقبر خديجة أمّ المؤمنين ، وتزور يثرب ، وتُلم بقبر النبى الكريم . وأنت فى أثناء هذا كله ، لا تسافر وحدك ، ولا تلم وحدك بهذه المشاهد ؛ وإنما يرافقك دائماً هذا الشخص الحبيب إليك ، الكريم عليك ؛ الذى اتخذ من قلبك مكاناً لن يبرحه ، والذى أصبح لنفسك ينبوعَ سعادة وشقاء ومصدرَ نعيم وبؤس ، والذى دفعك حين يَبهظك الألم ؛ إلى أن تتغنّى حزنك ، وتشكو بثك فى هذا الشعر الرقيق الرصين .

لقد كنت متحرِّجاً يا سيدى من نشر هذه الصحف ؛ لأنك لم تتخذ الشعر صناعة ، ولأنك تكره أن يتحدث الناس عن مدير يقول الشعر . فمن الذى وقف الشعر على الذين يتخذونه لأنفسهم

صناعة ؟ ومن الذى يمنع الإنسان الحساس من أن يصور إحساسه ، ويتغنّى حُزنَه شعراً إن واتاه الطبعُ ؟ وما أحسن ما يواتيك طبعك .

وهل على الذين ينهضون بأمور الإدارة ومناصبها جُناحٌ أن يحسوا ويشعروا ويعربوا عما فى نفوسهم من خاطر يخطر ، وعما فى قلوبهم من عاطفة تثور ؟

لا عليك يا سيدى ، احتمل حزنك كما احتملته إلى الآن جلداً كريماً ، ورفّه على نفسك كما فعلت إلى الآن بمثل هذا الشعر ، الذى أقل ما يوصف به إنه يرفعك عن الأثرة ، ويجعل من مصابك غذاء لبعض النفوس ، وعزاء لبعض القلوب .

وصدقنى يا سيدى ، أن شر الخطوب ما كان عقيما يدفع إلى الجدب . وخير الخطوب ما كان خصباً يؤلم ويؤذى ، ولكن الناس يجدون فيه على ذلك نفعاً وغذاء .

طه حسين

الإهداء

أى أبنائى .

إنكم لتذكرون

لقد كان لكم فى يوم من الأيام بيتٌ ناعمٌ سعيد . ولقد كان لكم أمٌّ تجمعكم إليها . وتضمُّنى وإياكم تحت جناحيها . ومذ ذهبت أمُّكم — رضىَ الله عنها وأرضاها — تجهَّم لنا الدهر . وَنَبتْ بنا الدار فإذا نحن متفرقون متباعدون .

لم أُرد أن أستبقيَكم — رغم رغبتى الملحة — فى بيت أخلقت ديباجتُه وغاضت بشاشتُه . وكان قد طالما ضمَّ فى أبهائه بين وَثارةِ العيش وهناءة الحياة أسعدَ أسرةٍ عرفها الناس . فنزحتم — كان الله لكم — إلى مدرسة تخذتموها دارَ إقامة ومعهدَ تعليم .

إنكم لتذكرون

لقد كانت أيامُ هذه الأسرة كلُّها أفراحا مُشرقة . وأمانىَّ متحققة . وكان أكرمَ أيامها عليها وآثرَها عندها أسبوعُ فى شهر يونيه . قدَّر اللهُ أن يجمعَ فيه من تاريخ هذه الأسرة أجلَّ حوادثها قدراً وأخلصَها جوهراً . وأبلغَها فى كيانها ومجرى حياتها أثراً .

ففى شهر يونيه من سنين بعيدة سحيقة أحسَّ أبوكم وأحست أمكم — وهما بعدُ فى ربيع الطفولة وريّقها — أنهما ليسا أخوينْ كما كانا يظنان . وعرفا أن من حقهما أن يتطلعا إلى حياة تجمعهما أشدَّ اتصالا . وأكثرَ جمالا وأعذبَ آمالا .

وفى شهر يونيه منذ سبعةَ عشرَ عاماً جمع اللهُ بين أبيكم المسكين وأمكم المسكينة زوجين أنعمَ وأهنأ ما يكون الزوجان تآلفا فتوافقا . وأكمل حياةَ بعضِهما ببعض كما يتكامل النصفان تضامًّا فتطابقا .

وفى شهر يونيه من العامِ السعيدِ الذى تلا عامَ زواجهما السعيد ، منَّ الله عليهما بكبراكم . فحشدا نفسيهما لها . ووقفا عنايتهما عليها . وزاد كلاهما لصاحبه بتلك النعمة المباركة حباً وعطفاً . وتقديراً وحدبا .

وإنكم لتذكرون فقد كنا ندَّخر لشهرنا هذا أنسَ العام كلِّه . ونستبق لمناسباته تلك هدايا العام كلِّه .

ثم شاء الله أن تنتقل أمكم إلى الرفيق الأعلى فى سَنِيٍّ فضلها ووريق صباها . فلم يكن ذلك إلاَّ فى يوم من أيام شهر يونيه المنصرم .

وها قد حل الشهر يا أبنائى لأول مرة بعد ذَهاب أمكم الكريمة . . . ها قد حلَّ ميقاتُنا ذو الذكريات الغالية الدامية . اللامعة الدامعة . فماذا تظنون أنى مُقدِّمُه بين أيديكم هدية أو تذكاراً ؟ ؟

أنه هو هذا الكتيب . . . هذا الكتيب الذى هراق قلبي بين ثناياه عبراته . وما أغزر وما أدمى عبراته .

وسكَبَ أملى فوق صُحُفِه أنأّته . وما أطولَ وما أعمقَ أنأّته . فى قصائدَ ومقاطِيعَ إلاَّ تكن من سَرِىِّ الشعر وكريه . فهى غيرَ شك من صادق الشعور وصميمه .

بقيت كلمة أخرى لا بدَّ منها ولا محيدَ عنها .

ستسألوننى لم أنشر هذا الكتيب على الناس . وليس فيه ما يَعنى أحداً غيرنا من الناس .

وأودُّ أن أسارعَ فأجيبكم أننى منذ صحَّ عندى أن أنشره . حزمت أمرى رعاية لحرمته علينا . أن أسمو به ما استطعت . فلن يراه الناسُ سلعةً معروضة . ولن يَقتنيه من الناس من يَنقدنى فيه دراهم معدودة . وإنما سيقتنيه منهم إن شاء الله . من يَعنينى أن أُهديهم إياه . أَو من يعنيه لمعنى من المعانى أن يَستهديه فيُهداه .

والسلام عليكم ورحمة الله م

والدكم

ع

دمنهور فى يونيه سنة ١٩٤٣

عهد الله

تركتِ دُنا الآلامِ والشرِّ فانعمى
وفُزتِ بقرب اللهِ ناهيك من قربِ

وأُقسمُ قد أدَّيتِ للفضْلِ حقَّه
وللأهلِ والأبناء والزوجِ والربِّ

سألقاك لم يُشْغَلْ فَراغٌ تركتِهِ
ببيْتى ولم يُملأْ مكانُك من قلبى

الربعمايه فى ٢١ يونيه ١٩٤٢



يوم ميلادى

أقولُ والقلبُ فى أضلاعِه شَرِقٌ
بالدمعِ لا عُدْتَ لى يا يومَ ميلادى

نَزَلتَ بى ودخيلُ الحُزنِ يعصِفُ بى
وفادحُ البثِّ ما يَنْفَكُّ مُعتادى

وكنت تحملُ لى والشملُ مجتمعٌ
أُنساً يفيضُ على زوجى وأولادى

فانظر تَرَ الدارَ قد هيضت جوانبُها
وانظر تجِدْ أهلَها أشْباحَ أجسادِ

فقدتُها خَلَّةً للنفسِ كافيةً
تكادُ تُغنى غَناءَ الماءِ والزادِ

وموئلا أجدُ الأمنَ الكريمَ به

إذَا تعاوَرَنى بالبغى حُسّادى

تحنو علىَّ وترعانى وتبسُط لى

فى غَمْرةِ الرأىِ رأىَ الناصحِ الهادى

مالَ الزمانُ بنا لمّا أُحيطَ بها

فى ساعةٍ لا فِدًى يُغنى ولا فادى

وكلُّ عُمرٍ فمصروفٌ إلى أجلٍ

وكلُّ أُنسٍ فمردودٌ لميعادِ

وكلُّ من حملتهُ الأرضُ بالغةٌ

به مثاوىَ آباءٍ وأجداد

ويْحَ ابنِ حواءَ والدنيا تساوِره

بالشرِّ من طامعٍ فى العمرِ مُزدادِ

أما درى وهو هاوٍ فى مباذِله

وسادرٌ فى هواهُ إنه رادِ[1]

---

(١) هالك

ما فسحةُ العيشِ إلا لمحةٌ عرضتْ

ثم انطوت بين آماد[1] وآباد[2]

يا أختَ ذي الرونقِ الموْشِيِّ من عُمُرى[3]

وعِدْلَ نفسى من الدنيا وأولادى

قد ذُقْتُ بعدَكِ يُتما حزَّ فى كبدى

وذاقه فى ربيع السنِّ أكبادى[4]

كنا على أيْكَةِ الدُّنيا ورَفْرفها

نختالُ فى نَشْوةٍ منها وأسعادِ

والدار حاليــــةٌ تزهو بربَّتها

كما ازدهى بالنمير[5] السَّلْسلِ الوادى

تضمُّنا بجناحىْ رحمـــةٍ وهدى

كالطير تخشى على أفراخها العادى

---

(١) غايات (٢) أدهار (٣) يقصد عهد الصبا
(٤) الأكباد هنا بمعنى الأولاد (٥) الماء الصافى

مُنًى تراءت فلما نلتُها انقشعت

وخلَّفتني لبرْحٍ[1] رائحٍ غادى

* * *

قدْ كنتَ فيما مضى عيداً فَمُذْ ذهبتْ

أصبحتُ أَشقى بأيامى وأعيادى

كأَنَّ ما غاضَ من نعمائنا نَغَمٌ

ما كادَ يفْرَغُ من تجويدها الشادى

لو قدْ علمتَ بما نبَّهتَ من شَجَنٍ

لجئتَ تبكى دمًا يا يوم ميلادى

الربعايه فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٢

---

(١) البرح الشدة والشر والهم .

توقيعات

تقدم له بنوه بكراسات يجمعون فيها توقيعات أهليهم وأصحابهم ، Autographe فكتب لكبرى بنتيه :

١ـ ولا تنسى أباك

اسألى ربَّكِ يُلهِمْكِ مع الصَّبْرِ هُداكِ

واثبُتى لِلْخَطْبِ واسْتَعلى عليــهِ بِصباك

واذكُرى أُمَّكِ وابكيها وَمَنْ يبكى سواك ؟

واحمِلِى عبْءَ أشقّاكِ ولا تَنْسَىْ أباكِ

٥ أغسطس سنة ١٩٤٢

وكتب لصغرى بنتيه فى كُراستها :

٢ـ تذكريها واصبرى

كُنَّا بِعَيْشٍ مُونِقِ المَظْهَرِ غَضٍّ المَخْبَرِ

تَضُمُّنا أُمُّكِ فى هَالَةِ بَدْرٍ نَيِّرِ

فى نَسَقٍ مُنَضَّدٍ ومَنْزِلٍ مُطَهَّرِ

حتى هَوَتْ كالشمْسِ فى مَغْرِبِ يومٍ أغبرِ

تَغَيَّرَ الدَّهرُ بنا والدهرُ ذو تَغَيُّرِ

يا قِطْعَةً من كَبِدى تَذَكَّريها واصْبرى

١٤ أغسطس سنه ١٩٤٢

وكتب لولده فى كراسته :

٣ - رب صبر نفعا

قد شهِدْنا الخطبَ لما وقعا	ورأينا البيْتَ حين انْصَدعَا
فتَبَادَلْنا أنيناً والهاً	ذَابَتِ الأَنْفُسُ فيه قِطَعا
وتولاَّنا وُجومٌ[١] ذاهلٌ	حبَسَ الدَّمْعَ وأَجْرى الهَلَعا
وأَفَقْنَـــا فإذا نِعْمَتُنا	لم تَكُنْ إلا سَرَاباً لَمَعَا
ذُقْتُ فى سِنِّكَ ما قد ذُقْتَهُ	فحَمَلْنا الْيُتْمَ طِفْلَيْنِ معا
لُذتُ بالصَّبرِ فلُذْ أنتَ بِه	وَتَماسَكْ رُبَّ صَبْرٍ نفعا
واقْطَعِ العُمْرَ إذا اسْطَعْتَ رِضاً	وابْتِساما قَبْلَ أن يَنْقَطِعا
دانَتِ الدُّنيا ورفَّتْ[٢] ودنت	لفتًى كافحَ فيها وسعى

١٤ أغسطس سنة ١٩٤٢

(١) الوجوم السكون على هم وحزن (٢) رفت أشرقت

أمنية

أقولُ وقلبي مُغرقٌ في شُجُونهِ
وجَفنى بِمُنْهلِّ الشئون شَريقُ

هلِ اللهُ هادينى إلى حَجِّ بَيْتِهِ
فإنِّى لَمُنساقٌ إليـــه مَشُوقُ

تُنَازِعُنى نفسى له فَأَرُدُّها
إلى أمـــلٍ فى قابِلٍ[1] فتتوقُ

وهلْ أنا مَجْدُودٌ[2] فَمُفْضٍ لِرَوْضةٍ
تُضِيءُ بنورِ المُجْتبى وتَروقُ[3]

تَرادَفَ فى أرجائها الطهرُ والسّنى
وذِكْرٌ كعَرْفِ المسكِ وهو فتيقُ

---

(١) عام قادم (٢) المجدود ذو الحظ الحسن

(٣) الروقة أفضل الحسن يقال راق يروق

وحَلَّ بهـا عَقْلٌ عنا[1] الدهرُ عنـده

وَخُلْقٌ بتقْديسِ الوجودِ خَليقُ

تَسامَتْ بوحْدانيَّةٍ عزَّ شأنُها

وعزَّ بهـــا بيتٌ هناكَ عتيقُ

تَألَّقَ وَجهُ الكوْنِ مُذْ يوم بَعْثِهِ

بما جَاءَ يُلقيـــهِ لهُ ويَسوقُ

حواميمُ[2] يَبْلَى الدهرُ وهي جديدةٌ

جـــلاها رؤوفٌ بالْعبادِ رفيقُ

ذَكَرتُ سنَى ماضىً والدهرُ مُحْسنٌ

وعَيْشيَ مَمْـــدودُ الظِّلال وَرِيقُ

وزَيْنبُ لى أُنْسٌ وأمْنٌ وَرَحْمَةٌ

وهَدْىٌ وعُرفٌ ساكبٌ وصديقُ

لكِ اللهُ من مَجْهودةٍ[3] شفَّها الضَّنى

فَأَضْوتْ ورَيْعانُ الشبابِ أنيقُ

---

(١) خضع أو سجد (٢) سور القرآن الكريم (٣) مريضة

وَمَرْزوءةٍ فى أهْلِها دَكَّ رُكنَها
شَقيقةُ نَفْسٍ أَعْجَلَتْ[1] وشقيقُ

لقد حزَّ فى نفسى أساكِ وهدَّنى
نواكِ وإن أَصْبِرْ فسوفَ أذوقُ

لئن حقَّق اللهُ الأمانىَّ لم أَبت
بأمِّ القُرَى[2] إلاَّ وأنتِ رفيقُ

يُؤَدِّى جَليلَ الفَرْضِ عنك مُوَفقٌ
أمينٌ على العهدِ الوثيقِ وثيقُ[3]

لعلِّى إذا جئتُ المُحَصَّبَ من مِنًى
وطَوَّفتُ بالبيتِ الحرام مُفيقُ

مفيقٌ من الخطبِ الذى جَلَّ إصْرُه[4]
ألا كلُّ خَطْبٍ دونَه لَدَقيقُ

الاسماعيلية فى يوليو سنة ١٩٠٢

(١) أسرعت للموت (٢) مكة المكرمة (٣) موثوق به (٤) وقعه وثقله

الزيارة الأولى

أأنْ بَعَدَ الأحْبابُ أعْرَضتَ عَنهمو
كما أعْرضوا أمْ زائرٌ فمُسـلِّمُ

دعانى لها الشوقُ الدَّخيلُ وهزَّنى
إلى المضجعِ الأسنى حَنينٌ مُـكتَّمُ

أَفَضْتُ لها حتى إذا جئتُ شفَّنى
تهَيُّبُ أَوَّاهٍ[1] يَهـــمُّ ويُحجمُ

فلا أنا أسطيعُ القُفولَ فأَنْثَنَى
ولا أنا أسطِيعُ المُثولَ فأُقدمُ

ولما كَفَفْتُ الدمعَ إلا أقـــلَّه
ونَهنهتُ[2] فى جَنْبَيَّ ناراً تَضَرَّمُ

---

(١) شديد الحزن كثير التأوه (٢) صرفت ودفعت

دخلتُ عليها فى وُضُوءِى وَروْعَتى

كما يَدخلُ البيتَ المحـرَّمَ مُحرِمُ

فواللّه ما آنَسْتُ إلاَّ تَألُّقـا

ولا استَفتُ[1] إلا ذاكيا[2] يُتنسَّمُ

وقَفْتُ يَقُصُّ الدهرُ تاريخَ غابرٍ

من العُمْرِ والعمرُ ابتسامٌ وأنعُمُ

تمرُّ مواضى الذكرياتِ كَريمـةً

كما مرَّ بالمَمْطولِ[3] طيْفٌ مُسلِّمُ

تمثلتها مَنْضُورةَ الْحسـن طِفلةً

يُضئُ الدجى منها جَبينٌ ومَبسمُ

وطاويةً عهدَ الدِّراسـةِ كاعِبا

تَروعُك فيها نَضْرةٌ وتَوَسُّمُ[4]

---

(١) شممت (٢) ساطع العرف (٣) المهجور (٤) جمال ورونق

وَمَجْلُوَّةً للعُرْسِ وَضَّاءَةَ السَّنى

تَأَوَّدُ فى وَشْيِ الشَّبابِ وتنعَمُ

وجامِعةً فى بيْتِها شَمْلَ بيتها

تَوَسَّطُهم كالبَدْرِ حَفَّتهُ أَنْجُمُ

فمحْمولةً منه إلى ساحٍ[1] مُفضلٍ

يُقيل ويَعفو عن كثيرٍ ويرحمُ

وقفتُ أناديها وأهتِفُ باسمِها

وأُلْحِفُ حتى أوشَكَتْ تتكلم

وقلتُ لها «يا زين» ما من فَجيعةٍ

تَعاظَمُنى إلا وفَقْدُك أعْظمُ

فأنتِ لعيْنى مذ تَراءَتْكِ[2] قُرَّةٌ

وأنت لنفسى مذ تملَّتكِ[3] توأمُ

---

(١) جمع ساحة (٢) رأتك (٣) استمتعت بك

وحبَّبَ فيك النفسَ عُليا خلائق

إذا لم تُحببْها الوَشائجُ[1] والدمُ

سأُكرمُ أكباداً[2] تركْتِ فإنْ أمُتْ

فإنَّ إلهَ الناسِ بالناسِ أكرمُ

عليكِ سَلامُ اللهِ « يا أمَّ واثِق »

ووَالاكِ من جَدْواهُ هَتَّانُ يَشْجُمُ[3]

سَيَبكيك لا يَقْنى[4] دُموعًا ولا دماً

مدى العُمرِ مَقروحُ الجوانحِ أيِّمُ[5]

الربعماية فى ٥ يوليو سنة ١٩٤٢



(١) أواصر القربى (٢) يقصد أبناءها (٣) يثجم ويسجم ويهطل بمعنى
(٤) يدخر (٥) فاقد الزوج ، وفاقد الزوجة

من أطياف الماضي

إنِّى وقفتُ « بميت غمرٍ » ساعةً
فتجمّع المـاضى ولاحَ أمامى

وتَراءت الأطْيافُ وهى بَعيـدةٌ
كالبرق عارَضَ[1] من وراءِ غَمامِ

وتدانت الأعوامُ تنشُر ماضياً
خَضلاً طَوَتْهُ سوالفُ الأعوامِ

وتوالت الصُّـوَرُ البواسمُ طَلْقةً
تَروى أحاديثَ الصِّبـا البسَّامِ

إذ نحن فى ورْدِ الحيـاة وَخَمْرِها
كالروضِ بين المـاءِ والأنسامِ[2]

---

(١) برق ولمع (٢) جمع نسيم

والعيشُ ثَمَّ كأنه قُبَلُ النـدى
حملتْ تَحَايا الفَجْرِ للاكمامِ

أيامَ نمرحُ فى صباً وصَـــــبابةٍ
موصـــــولةِ الصَّبَوات والأيامِ

إلفان مؤتلفان نامت عنهما
غِيَرُ الزمانِ وهُنَّ غيرُ نيـام

يتساقيـان رحيقَ ودٍّ ساكبٍ
صَفْوِ البشاشةِ كالربيع[1] الهامى

مَرِحانِ كالطفلِ الغـريرِ وتِربه
فرحا بأيْسَر ملبسٍ وطعـــــامِ

كلٌ يَشيدُ بإلفـهِ ويظنُّه
دون الورَى مَثَلَ الـكمالِ السامى

(١) المطر

ويكادُ من كلَفٍ يقدِّسُ ذاتَه

أَعْظِمْ بتقديسٍ وَليــــدَ غرامِ

* * *

يا ميتَ غمرَ ذكرتُ عهدَكَ حالياً

وذكرتُ فى عِطفيك طيبَ مُقامى

وذكرتُ نيلَكِ وهو يَجْرى عَنبراً[1]

أوْ فِضـــــةً فى ريفِك المُتَرامى

فإذا الخمائلُ فى الأصائلِ فِتنـةٌ

وإذا الغياضُ مُكلَّلاتُ الهـامِ[2]

أضْفى على الشَّطيْنِ أَنْضَرَ زِينـةٍ

وتعاهَدَ البَــــلَدين بالإنعـامِ

لم أنْسَ ليْلاتٍ عليــــه كأَنَّها

من طولِ ما قَصُرت طيوفُ منامِ

---

(١) يقصد بذلك وقت الفيضان (٢) جمع هامة وهى الرأس

رفَّت[1] لنا فتنفَّستْ فيها المُنى
كتنفُّس الزَّهَرات في الأكمامِ

طوَّفتُ بالبيتِ الحزينِ مُسلماً
فبكى وأوْشَكَ أن يردَّ سلامى

وَجَعَلْتُ أسأله وأسأله وهل
يُجدى سؤالى أو يُفيد كلامى

أَعَرَفتِنِى يادارُ أم أنكرتِنى
نَهْبَ الأَسى والبثِّ والآلام

أسوانَ[2] تَهوى نفسه من وَحْشَةٍ
وَتَلَدُّدٍ[3] فى مثل بَحر طام

لبِسَ الظلامَ وعاش فيه ومن يَذُقْ
ما ذُقتُ لم يأنَسْ لغيرِ ظلام

---

(١) أضاءت وأشرقت

(٢) أسوان من الأسى وهو الحزين المهموم (٣) حيرة

كنا وكنتِ لنا مِهادَ رَفاغَةٍ[1]

ومِراحَ خَالصَةٍ وعُشَّ غرامِ[2]

وضَممْتِنا نِصفَيْن حين توافقا

حَمِــــدا السُّرَى وعواقبَ الأيامِ

يا دارُ قد مالَ الزمانُ بأُنسِنا

وهوى بِرونَقِ شَمْلِنا المُلتـامِ

هى فرقةٌ هانت فلم ترقأ إلى الأ

أرواحِ بل هبطت إلى الأجسام

يا أُختَ آمالِ الصِّبا ومِراحه

والضَّاحِكِ النَّشْوانِ من أحلامى

إن تبْعَدى فأنا المقيمةُ لَوْعتى

ومودَّتى حتى يَحِيـنَ حمامى

(١) لين العيش والهناءة (٢) الخالصة الود والتعاطف

ويقالُ لى اصْبِرْ . ما لذلك حيلةٌ

والنـــارُ بين ترائبى وعظامى

نَفْسٌ مُضَعْضَعَةٌ وعَـيْن ثَرَّةٌ[1]

وَحشا مصـــــدَّعةٌ وقلبُ دامِ

« يا زين » والدُّنيا تغيَّر أهلَها

والناسُ رَهْنُ تَقَلُّبِ الأيامِ

أقسمتُ لا آوى لغـيرِك خَلَّةً

عَهْدى إليكِ على المدى وذمامى

٣٠ أغسطس ٩٤٢



(١) كثيرة البكاء

وحى الغروب

قلتُ لما رأيتُها تتهادى   لمغيبٍ فى جَوْف يَمٍّ سحيقِ

وهى مُصْفرَّةُ الأديم كما اصفرَّ   م مَشوقٌ أضناهُ نأىُ مشوقِ

إيهِ ياشمسُ والعوالمُ تجرى   فى بُروجِ علويَّةِ التَّنْسيقِ

سابقٌ فى سديمه[1] جدَّ فى السير   م فأَخْلى السبيل للمسبوقِ

سُنةُ الكونِ والحياةِ دواليْكَ   م غروبٌ مستأنفٌ من شروقِ

أنتِ ذكَّرتنى بشمس من الحور   م تولَّت فى حُسنها المرْموقِ

فى إطارٍ من الجلالِ سَنِيّ   وطرازٍ من الشبابِ أنيقِ

قلتُ هذا صدْرى تَعالىْ إليه   رُبَّ صدرٍ حانٍ عليك شَفيقِ

طالعْتنى بنظرةٍ تجمعُ العطفَ   م إلى الوُدِّ والوفاءِ العميقِ

---

(١) السديم وجمعه سُدم وهى المدن النجوميه والسحب من التراب والغاز المضىء

فى طوايا صَفائِها الشكرُ للّهِ م وتصديقُ وعدِهِ المصدوقِ

خَصَّها اللّهُ بامتحانٍ غليظٍ حَمّلته حَمْلَ الشكورِ المُطيقِ[1]

دفعت صدرَها إلىَّ وألقتْ رأسَها عند مُوجَعٍ ذى خُفوقِ

ثم قالتْ فى أنَّةٍ وأناةٍ أَزِفت ساعةُ الفِراقِ السحيقِ

لا تُرَعْ واحمل الفجيعة جَلْداً لستَ للضعْفِ دونَها بخليقِ

وأشارتْ لطفلةٍ تَشْهَدُ الهوْلَ م بقلبٍ دامٍ وجَفْنٍ غريقِ

قالت ارْعَ الأولادَ وابقَ كما كنتَ م مِثالَ الأبِ المُحبِّ الرفيقِ

ومَضَتْ تَنزَعُ الحياة وتُلقى فى زَفيرٍ أعباءَها وشَهيقِ

فى سَنيٍّ لامِعٍ وعَرْفٍ ذَكِيٍّ وابتسامٍ عذْبٍ ووجه طليقِ

لو تَراها تقولُ قدْ مسَّها البُهْرُ[2] م فآوت إلى سُباتٍ رقيقِ[3]

ووقفْنا مُروَّعين نُجِيلُ الطَــرفَ بين التكذيبِ والتصديقِ

---

(١) تلك إشارة إلى مرضها الذى لازمها فى أواخر حياتها

(٢) الاعياء (٣) السبات النوم الخفيف

ثم عُدنا للحقِّ عانِين صَرْعى   من مُفيق يَهذى وغيرِ مُفيقِ

* * *

إيه يا أختَ باكراتِ أمانىّ   م وألْفَ الصِّبا الغرير الوريقِ

ومناطَ الآمالِ نَهفو[1] إليها   بين ودٍّ سمْحٍ وعهدٍ وثيقِ

تتساقى رّحيقَ لهوٍ كريمٍ   أيْنَ منِّى مَسكوبُ ذاكَ الرحيق

ووداداً كأنه قُبَلُ الأنداء   م قد شافهتْ خُدودَ الشقيقِ[2]

عندشطِّ الغديروالقصرذى الأعلام   م والروْضِ ذى الرُّواءِ الأنيقِ

ومرائى الربيع فى حُلَلِ الرِّيفِ   م وموْشِىٍّ نَسْجِه المنسوقِ

نَحْسَبُ الكونَ كلَّه عُشَّ طِفلين   م ومَغْدَى شقيقةٍ وشقيقِ

ونرى العمرَ بَسمةَ الزمنِ السمْحِ   م ومَجْلى بهائهِ الموْموقِ[3]

ياملاذى إذا افتقدتُ ملاذى   وصديقى إذا تجنَّى صديقى

---

(١) نهفو: تسرع   (٢) ضرب من الزهر   (٣) المحبوب

كيفَ خَلَّفْتِنى وقد كنتِ روحا وسلاما. أَصْلى عذابَ الحريق

من يُوارى نقصى ويعملُ ما اسطاع على حَسْمِه بحزمٍ رفيقِ

من يُسرِّى عنى إذا شفَّنى الهمُّ م ويَشفى نفسى ويَهْدى طريقى

وأَرى وجْهَهُ الصَّبيحَ فأُلفى فى تقاسيمِه سنى التوفيق

مَنْ مُعِينِى بثاقبِ الرأى يَجْلوه م وليدَ التهذيبِ والتحقيق

من يَقينى مَصارعَ اليأسِ بالتشجيع م يُزْجيهِ فى يقين عميق

مَنْ إليه نجْواى أن ريع صدرى بِلمٍّ من الخطوبِ مُحيق

ذهبَتْ كالندى تألَّق فوق الزهر م فى غُرّة الصباح الطليقِ

ومضت كانطلاقةٍ من أسارٍ ونأت كانفراجةٍ من ضيق

والبواكيرُ للخواتيم تُفْضى وهما هامةُ الفَناء السحيق

بورسعيد فى سبتمبر سنة ٩٤٢

ذكريات

١

يُذكّرُنيكِ كُلُّ جليلِ أمرٍ — وكلُّ يَسيرِهِ فتذوبُ نفْسى
إذا سَكبَ الصباحُ فأنتِ همّي — وإن وَقبَ[1] المساءُ فأنتِ أُنْسى
جمعتِ على الهوى طرَفَىْ نهارى — كأنّى لم أرَعْ بنواكِ أمسِى
رعاكِ اللهُ ما فارقتِ روحِي — وإن فارقتِ بعضَ الوقتِ حِسّى
أراكِ كما رأيتُكِ حين كُنا — على حَرَمِ الصِّبا نُضحى ونُمسى
نذوقُ رحيقَه طفلَيْن شبًّا — على وُدٍّ وخالِصةٍ[2] وقُدس
هناكَ على مَلاعبَ ضاحِكاتٍ — وسامٍ[3] لم يُرعْن بيوم وَكْس[4]

(١) وقب الظلام أى دخل (٢) حب (٣) جمع وسيم وهو الجميل
(٤) يوم مكروه

بشطِّئ عَنْبرىٍّ الماء يحْنو على واديه فى حَدب وهمْس

جرى بين الْحقول رسول رِفْهٍ ومَسَّ زروعَهُنَّ أبرَّ مسٍّ

يبا كرُ أين سال وحيثُ أفضى بموْشيٍّ النضارة كلَّ غرْسِ

ذكرتُ القَصر ذا الأبْهاء تعلو قواعدُه على كرَم وترْسى

يَرِفُّ[1] رَفاغَة[2] وسنًى وبشراً كما رفَّت عروسٌ يوم عُرس

ويمرحُ أهلُه فى ظِلِّ سَرْوٍ[3] وشمْلٍ غير مُنشعبٍ وأنس

فما زالتْ صُروفُ الدهر تجْرى بمكروهٍ من الأقدارِ نَحْس

فالوا كالنجوم الزُّهْر خَمْساً[4] وما كانوا وحقِّك غيرَ خَمْس

حَمَلْتِ مصيرَهم فضَنيْتِ حُزناً فَرُحْتِ شهيدةً تَفْديكِ نفسى

* * *

رأيتُ الربعماية وهى تبكى مصارعَ خُرَّدٍ[5] منها وشُمْسِ[6]

فلم أرها كيومِكِ قد دَهاها أَسًى صَدَعَ[7] النفوسَ عن التأسى

(١) يضىء (٢) رغداً (٣) مجد
(٤) يشير إلى إخوتها وعدتهم (٥) الخريدة السيدة الخفرة والجمع خرد
(٦) جمع شموس (٧) صرفها

٢

تذكرينكِ أشياءٌ أراها ... فينشَطِرُ الفؤادُ لها انشِطارا

إذا قمُنا لمائدةٍ مساءً ... وإن قمنا لمائدةٍ نهارا

يُطالِعُنا مكانُك وهو خالٍ ... فتَبْتَدِر الدموعُ له ابتدارا[1]

نحيطُ به فنوسعهُ حَنينا ... وتقْديساً لذكرِكَ وادِّكارا

نرى بِصحافِك الْجِدَّ العِثارا ... وفى كُرسيِّك الأمَلَ القِفارا

وما يَفْرى فؤادَ أبٍ حزينٍ ... كأطفالٍ له نُكبوا صِغارا

نأت كالشمس أُمُّهمو فأمسوْا ... وإن كنتُ الْحَفِىّ بهم حيارى

وكانوا فى فَمِ الدنيا ابتساما ... فأضْحَوْا أدمُعاً فيها غِزارا

تُذكرينكِ وغُكتُهم فأمسى ... أعانى لَوعــةً وأذوقُ نارا

أُذيبُ على فراشهمُ الليالى ... وأطويها طِوالا أو قِصارا

ولو أسكنتُهم حبَّاتِ قلبي ... لما هدأوا ولا طعِموا قرارا

---

(١) تتسابق

فلن يُغنيهمو « يا زين » عطفى ... ولو قدسالَ من كبدى ومارا[1]
حُنوُّ الأمهاتِ حنوُّ طَبْعٍ ... وتَضْحِيةٍ فكيف إذن يُجارى

٣

تُذكرنيكِ يا زينُ اليتامى[2] ... وقدفقَدوا بكِ الكَهفَ الحفيّا
بنو أخويْكِ ذاقوا اليتْم مُرًّا ... وفى حِضنيك ذاقوه شهيّا
وكنتِ لهم غداةَ الروعِ أمًّا ... مُفدّيةً وكنتِ أبًا كفيّا
سَكَبْتِ عليهم الأمْن المُصَفَّى ... وخَفْضَ العيش والْعطفَ النديّاً
وما أنساكِ كالئةً نهاراً ... إذا وَعِكوا وحاضنةً عَشياً
نسوْا فى ظلِّ صدْركِ كلَّ داءٍ ... ويجمعُ صدرُكِ الداء الدويّا[3]
بكيتُ لهمْ إذا ضاقوا بأمرٍ ... فلم يَجدوكِ فانفجروا بُكيّا
وما لاقيتُهم إلا حزيناً ... ووالهةً ومفئوداً شجيّا
إذا اجتمعَ الشبابُ إلى مِراح ... وأنْس بينهم خَلَصوا نَجيّا[4]

---

(١) فاض وتدفق ... (٢) المقصود باليتامى هنا أبناء اخوتها
(٣) إشارة إلى مرضها ... (٤) انفرد بعضهم ببعض للنجوى

سلامُ الله يأمَّ اليتامى ... وحيّا الله مضجَعَك السنيّا
لقد كانت بيوتُك جامعاتٍ ... وكان الشملُ مُلتئما سَويّا
فأضحت بَعدكِ انهدَمَت عليهم ... كغضٍّ الطرف وانهدَمت عليّا
تخذتُك فى حياتى كلَّ شىْء ... فلما بِنْتِ ما أَبقيْتِ شيّا

٤

تُذكرنيكِ أحداثُ الليالى ... فإنَّك كنتِ لى منها مِجنّا
إذا نَزَلت أشارَ إليك قلبى ... وأجْهَش فى أضالِعه وحَنّا
فديتُك من أُطالعه بهمِّى ... ومن أشكو له بَثا وحُزنا
ومن أُفضى له بحديثِ نفسى ... ونجواها إذا ما الليلُ جنّا
ومن فى أُذْنِه يا زينُ همسى ... إذا عمٌّ جفا وأخٌ تجَنَّى
فقدتُكِ زوجةً وأخاً وأختاً ... وأماً برَّةً وأباً وخِدْنا
وناصحةً تزفُّ الرأىَ فَصْلا ... إذاما أوجهُ الرأى اصْطرعنا[1]
وحافِزةً لكلِّ عظيمِ أمرٍ ... وهاديةً خُطاى إذا ضَلَلْنا

(١) من صراع الآراء إذا اختلفت وتضاربت

وكنتِ عليمةً بقليلِ نَقْصِي ... سواء ما استبان وما استجنَّا
عَرَضْتِ له بتهذيبٍ وئيدٍ ... ومن يَهْمَمْ بإصلاح تأنَّى
وكنتِ إذا جهلت بَذَلْتِ حِلْماً ... فَعُدْتُ إليكِ مُعتذراً مُعَنَّى[1]
وكنتُ إذا حَرِجتُ وضاق صدرى ... سكَبْتِ عليه أُنْسَكِ فاطمأنَّا
ستفنى ذكرياتُ الخلقِ عندى ... وذكرُكِ فى الجوانح ليْس يفنى

٥

يُذكرنيكِ ما دَمِيَت جفونُ ... وماشَقِيَتْ بما حَمَلت نفوسُ
منازلُ كلما ذُكِرت تداعى ... لها قلبى وعاوَدَه الرسيسُ[2]
مررتُ بطنطدا فأذابَ نفسى ... وأذكى الذكرياتِ جوًى ضَرُوسُ
ذكرتُ بها لياليَ نيِّراتٍ ... تقولُ جَلَتْ دَياجيَها الشموسُ
تطالعُها السعودُ بكل يُمنٍ ... مُباكِرةً فتنجابُ النحوسُ
لقد شَهِدَتْكِ طنطدةٌ عروساً ... ترفُّ[3] برونقِ الحُسنِ العروسُ

---

(١) متعبا . مهتما   (٢) ابتداء الحب والألم بصفة عامة
(٣) تشرق أو تهتز

تَأَوَّدُ فى حمى الْحَسَبِ المُصفَّى ... وفى عِطْفِ الصِّبا الحالى تَميسُ
حَبَسْتُ[1] بُعْشنافانهلَّ دمعى ... وضجَّ بأضلعى الشَّجَنُ الحبيسُ
وَقَلَّ لمنزلِ الصَّبَواتِ دمعٌ ... يُراق ولوْعةٌ حرَّى تنوس[2]
وقلتُ له لقيتُكَ بعد دهر ... تَرَادَفُ أنعمٌ فيه وبوسُ
أتذكُرُنا إلى حِضنيْك نأوى ... وأنت الضاحكُ البرُّالأنيسُ
تدورُ بنعمةٍ وهوى ورفهٍ ... علينا فى مَغَانيك الكؤوسُ
نَراحُ[3] لديك لا ليلٌ عصيبٌ ... يساورُنا ولا يومٌ عبوسُ
لقد مال الزمان بعِدْلِ نفسى ... فدتْها النفسُ تُبْذَلُ والنفيسُ

٦

يُذكرنيكِ باكيةٌ وباكٍ ... من أبناء السبيلِ البائسينا
وحانيةُ الضلوعِ على يَتامى ... بمدْرجةِ الطريقِ مُروَّعينا
وجوْعى يسألون الناسَ جَهراً ... وغرْثى غيرُهم لا يسألونا
وكنتِ غياثَهم سَكَبَت عليهم ... يَداكِ البرَّ مُخضلاً هتونا

(١) وقفت (٢) تنوس تتحرك (٣) نرتاح ونطمئن

مَسحتِ دموعهم وبكيتِ عطفا لهم وأنلتِهم خَفْضاً ولينا

رعاكِ الله كم بيتٍ كريمٍ أُصيبَ فكُنتِ ملجأه الأمينا

أَسيتِ جِراحَه ودفعتِ عنه وواسيتِ الحزينةَ والحزينا

وأقسمُ كنتِ تُخفين العطايا وتولين الجميلَ وتكتمينا

وقد تَهبين مماً ليس فَضْلاً[1] وتُعطين الكثيرَ وتؤثرينا

مُصابُكِ عمَّ من عرفوكِ طرًّا وخصَّ فديتُك المسْتضعفينا

٧

تُذكرينكِ كلُّ صلاةِ وَقتٍ فما أغفلتُ ذكركِ فى صَلاتى

وما أدّيْتُ حقَّ اللهِ إلاَّ وكانَ إليك يا زينُ التفاتى

من الأعماقِ أُرسلُه دُعاءً تَسَرَّبُ فى دموعى السافحاتِ

لِيدْفعَ عنك غائلةَ الليالى وَيمْنعَ عنك باغتةَ الشَّكاةِ

ويكْشِفَ علّةً دَهَمت فأرست صَبَرت لها اصطبارَ المؤمناتِ

عَرَفْتِ دَوِيَّ دائك من قديم فلمْ تَثِقى بآمال الحياة

---

(١) زائداً عن الحاجة

وكنتُ إذا لقيتُك مُطمئنا عليكِ عَجبتِ من أملى المُواتِ

شَهَدْتَ مَصارعاً ورأيتِ صَرعى[1] تهاوَوْا كالشموسِ الآفلاتِ

مُنيتِ بفقدِهم فحملْتِ عِبئًا يَشقُّ على الجبالِ الراسياتِ

ذَوَيْتِ وراءَهم عُضواً فعضواً كما يذوى الصَّدِىُّ[2] من النباتِ

ونَهْنهَ[3] لوعتى « يا زين » أنى حَشَدْتُ لك الأطباءَ الثقاتِ

وإن حُمَّ القضاءُ فلا أساةٌ فقد يجرِى القضا بيدِ الأساةِ[4]



(١) إشارة إلى تتابع إخوتها قبلها

(٢) الصادى

(٣) خفف

(٤) الأطباء

أشجان رمضان

الفَيْتَنى مذ جئتَ نِضوَ شُجونِ
وشهدتَ واصبَ لوعتى وأنينى

ولقيتَنى فرْداً[1] حنى أضلاعَه
فى الأعيُن على جوى وحنينِ

غالَ الردى إلفَ الصبا وقرينَه
فتُرِكْتُ فى الدنيا بغيرِ قرين

أسوانَ بعضُ أساىَ يَنهكُ مهجتى
حيْرانَ أيسرُ حيرتى تُردينى

ضَجِراً فأهونُ ما يَمَضُّ يَمَضُّنى[2]
وأقلُّ ما يُبكى امرأً يُبكينى

---

(١) وحيداً (٢) ثلاثية ورباعية يحزن ويؤلم

رمضان ويْحَك ذكرياتُك جمّةٌ

والذكرياتُ ذخيرةُ المحزونِ

كانت تُطالِعُنا لياليك التى

سَلفت بأيْمَنِ عارضٍ وجبينِ

وتردُّنا لهوى الصِّبا وجنونِهِ

وهوى الصبا سَقَط[1] بغيرِ جنونِ

فى منزلٍ جمَعَ الوثارةَ[2] والمُنى

مَجْلوَّةً مَنْضورةَ التلوينِ

كخميلةِ الغَرِدَيْنِ فى أحضانها

أمِنَا عُيونَ كواشِحٍ وعيونِ

مَرِحانِ صاغهما النعيمُ فأمسيا

فى نَضْرَةٍ يتقلَّبان ولينِ

(١) لغو (٢) الهناءة والنعمة

نَسيا الدُّنا وتفرَّغا لهـــــواهما

وتزايلا في قُدسهِ المكنونِ

ذَهَبَتْ كما ذهب الضُحى مُتألقا

وبقيتُ أضْربُ في الليالي الجون[1]

وذوتْ بشاشاتُ الحياةِ ولم يعُــدْ

في أنسها يا زينُ ما يُصبيني

أزْوَرُّ عن لألائها ونعيمِها

فإذا جنحتُ لهـا تَقَشَّعُ دوني

يُسِّرتُ للبأساء أحمـــــلُ عِبأَها

في بثٍّ مَفْؤودٍ ويأسِ غبينِ

لولا ودائعُكِ التي استودعْتِني

لنَفَضْتُ من هــذي الحياةِ يميني

---

(١) السود

لم أنس يومَ هفا[1] فعاجَلَك الردى

هَمْساً بَذَلْتِ إلىَّ غيْرَ مُبِيـنِ

وَسَنَاكِ لماحٌ . ونَفْسُكِ طَلْقَةٌ

تَسْنى[2] بإيمانٍ وصِدْقِ يقينِ

قلتِ ارْعَ أكْبُدَنا الضعافَ وأوْلهِم

من عطفِكَ المُنهلِّ ما توليني

قرِّى فهم يا زين بين جوانحى

فإذا جَلَوْا عنهـا فبينَ جُفونى

يا زينُ إن ثَقُل الوفاء على الورى

فتَصابؤا[3] عن شَرْعِه المسنونِ

فأنا المُقيمُ وفاؤه ووِدادُهُ

عَهْدى إليكِ على المدى ويمينى

بورسعيد فى ١١ سبتمبر ٩٤٢

(١) أسرع (٢) تضىء (٣) خرجوا عن الشرعة

فى بطحاء مكة

رَفَّت[1] الأرضُ حولَها والسماء | وتناهى لها السَّنَى[2] والسناء[3]
وزكا عندَها الهُدى فإذا الكونُ | م جمالٌ ورحمــــةٌ وإخــاء
قف ببطحائها قُبالَةَ بيتِ اللهِ | م واخْشعْ فإنهـــا البطحاء
باركَ اللهُ حولَهـا واجتباها | فزكت فى صعيدِها الأنبيـاء
الذبيحُ الكريمُ والذابحُ السمْحُ | م حنيفٌ نمتهما حُنَفَــاء
رَفَعا بيتَها العتيقَ على التقوى | م فعزَّ البانى وطالَ البنـــاء
قُدُسٌ تُشْرَعُ الوجوهُ إليــه | ما تَراءى صبحٌ وقامتْ عِشاء
وتَرامَى له الحجيجُ وهم اللأْينِ | م نَهبٌ وللسُّرى أنضــــاء
أنفُسٌ لليقين ظمأى فما تَبلُغُ | م حتى يَنجابَ ذاك الظَّماء
وقلوبٌ للنور تَهفو فما تُشْرِفُ | م إلّا ونورُهـــا لألاء
قلتُ للنفسِ وهى نَهبُ الأحاسيسِ | م تَنَزَّى[4] وتَغْتَلى ما تَشاء
رَهبةٌ عند روعةٍ يتساوى | عندها الأيِّدون[5] والضعفاء

---

(١) أشرقت (٢) الضوء (٣) الشرف (٤) تتحرك فى ألم (٥) الأقوياء

إيه يانفسُ إن تاريخَ هذا الكونِ م ضَمَّته هـذه الأنقـاءُ[1]

عَفَرَ الدهرُ رأسَه فى ثراها وعَنَتْ عندَ قُدسِها الجوزاءُ

وَجَثَتْ عِزةُ الملوكِ لديها ومعالى الأمورِ والكبرياءُ

آنستْ[2] أزوَعَ انقلابٍ على الأرض م طواها كأنه الكهرباءُ

ثورةٌ كرَّمَ الخليقةَ فيهـا ربُّها فهى ثورةٌ بيضاءُ

أينَعَتْ تحتَ آل عبدِ منافٍ فاستظلَّتْ بظلِّها الأفناءُ[3]

سَدَنَ البيتَ هاشمٌ وبنوهُ عِترةٌ ساكبٌ عليها السناءُ

فى يديه حجابةُ البيت[4] والنَدْوةُ[5] م والسَّقْىُ والقِرى واللواءُ[6]

واذكرِ الفيلَ[7] كيف جاء والهدمِ الـ ـبيتِ ثم انثنَوْا وبالخزْى باءوا

دفَعَ اللهُ كيدَهم وأذاهم فإذا الطيرُ جُنـدُه والوباءُ

قل لأمِّ القرى[8] عَدَتْكِ العوادى وسَقَتْ رملَكِ الطهورَ السماءُ

قريةٌ تَعْمُرُ العـوالمَ رِيًّا وسَنًى وهى صَفْصَفٌ جرداءُ

كيف أنكرتِ بَعثَهُ وهو مذ أنجبتِ م صدقٌ وعِصْمةٌ ووفاءُ

---

(١) جمع نقا وهى مجتمع الرمل (٢) رأت (٣) القبائل
(٤) مفاتيح الكعبة (٥) رياسة الاجتماع كل أيام العام (٦) باقى
مناصب الكعبة والسيادة (٧) المقصود أصحاب الفيل (٨) مكة

الأمينُ المُشيَّعُ النفسِ بالإيمانِ م والفـرْدُ ما له نظـــراء
شبَّ فيك اليتيمَ ضمَّت أباه في الصبا النضْر يثربُ الغـراء
وطوى أمَّـه الردى فطوتها في مجالى شبا بها الأبواء[1]
أنجبـاه وأسلماه لِعبىءٍ تضعُفُ الأرضُ دونَه والسماء
أنجباه كالصبح أسْفَرَ فانجاب[2] م ظلامُ القلوبِ فهى وِضاء
وحِجًى بَصَّرَ الأنامَ فعافت جهلَها الجاهليـةُ الحمقـاء
وهُدى طهَّرَ النفوسَ من الكفرِ م وللكفرِ فى الورى استعلاء
ويقيناً للكونِ فيه من الشكِّ م ومن حيْرةِ العقولِ جـلاء
ومُقلاً يَسْنَى عليه غنى النفسِ م وفيـه عن كلِّ مالٍ غنـاء
لم تكونى له مَثـابةَ أمْنٍ وعَلَى الأمْنِ قامَ فيك البنـاء[3]
نالَه بالهوانِ أهلُك بغياً وتبارى الكرامُ والسفهـاء
وإذا ناصبَ[4] الكريمَ ذووه فعلى الفَضْلِ والنِّصابِ[5] العفاء

(١) قرية بين مكة والمدينة توفيت ودفنت بها آمنة بنت وهب أم رسول الله
(٢) انكشف (٣) إشارة لقوله تعالى « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً » (٤) عادى (٥) المجد

دعْ حِراءً فلو أحسَّ حراءٌ ما رأى غارُه[1] لحرَّ حِـراءُ
شهدَ الخلْقَ كيف كرَّمه اللهُ م بدينٍ هو السبيلُ السواءُ
يومَ يُلقِي جبريلُ مُعجزةَ الدهر م كتـاباً بآيه يُستضـاءُ
قيلَ سحرٌ وقيلَ بل هو شِعْرٌ دونَ هذا وتَقْصُر الشعراءُ
إنه البيِّنات تَبْقى عَلَى الدهر م وتَبْلى الدنا ويَفْنَى الفَنَـاءُ

* * *

طاف فى خاطرى ومكةُ دارى صُوَرٌ عبقـريَّةٌ غَـــرَّاءُ
فى سجلِّ الخلودِ والحزمِ والإيمانِ م ما إن لها الزمانَ كِفاءُ
يومَ أوْدَتْ خديجةَ وأبوطالبَ م أودى الحمـاةُ والخلصـاءُ
خلَّفاهُ نَهْباً لحقـدِ قريشٍ ربَّ أهلٍ نَشْقى بهم ونُساءُ
شرُّ ضَرْبٍ من العداوةِ أن يغْشاكَ م ممن تَهْوى وتفْدى العَداءُ
حَبسَت عنك سَمْعَها مكةُ البيضاءُ م كِبراً والطائفُ الخضراءُ
جئتَها مُوحشاً رفيقاك عزمٌ ويقينٌ إن عزَّت الرفقاءُ
راجيا فى ثَقيفَ للدعوة السمْحاء م نصراً فخابَ فيهـــا الرجاءُ

---

(٤) إشارة إلى أول الوحى فقد جاءه وهو قائم بالغار

لم يُجيبوكَ للذى جِئت تدعو بل تغشّاكَ منهمُ الإيذاء

يا شفيعَ الأنامِ ما شفعَ الحقُّ م لديْهم ولا أعانَ الولاء[1]

وكأنِّى أراكَ فى حَرَم الحائطِ[2] م تشكو فترْجُفُ الأرجاء

فى مناجاتِك الرفيعةِ للّهِ م معانٍ قُدسيةٌ عصماء[3]

صَغُرت عندَكَ الشدائدُ ما حفَّك م من ربِّك الكريمِ احتفاء

واذكر الهجرَة التى جَلّل الدهرَ م سناها المباركُ الوضاء

دفَعَ الضَّعْفُ والهوانُ إليها والسياساتُ والحجى والدهاء

خرجا يضربان فى عَتْمةِ الليلِ م ثبيرٌ يَفْديهما وكِداء[4]

فاسأل الغار كيف ضَمّ الطريديْن م وأخفى . وهل لشمسٍ خفاء

ثانِيَ اثنيْن فيهِ ربُّهما الثالثُ م فهو الملاذُ وهو الوِقاء

فَصَلا[5] عنه والحِذارُ زميلٌ لهما والمهامِهُ الجرداء

---

(١) إشارة إلى صلة كانت بين آل النبي وأشراف الطائف (٢) هو بستان لعروة وشيبة ابنى ربيعة (٣) كان مما ناجي رسول الله ربه يومئذ قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ... رب إلى من تكلنى ألى بعيد تتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ... لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك
(٤) جبلان بمكة (٥) خرجا منه

كلّما كلّت المطايا من الأغذاذ[١] م صاحا أن النجاةَ النجاء[٢]

فإذا يثربُ الحفيّــةُ دارٌ وإذا النصرُ عندها والولاء

واذكرِ الفتحَ كيف قرَّ بهِ الدين م وعزَّت بعــزّه السمحاء[٣]

حقّق اللهُ وعدَه لرسولِ الله م والوعدُ من لَدُنْهُ وفاء

ربَّ فَتْح تومى له الأرضُ عُجباً وافتتاناً وتستطيلُ السماء

قد تحلّت أمُّ القرى واشرأب[٤] البيت م زَهْــوا وازدانت البطحاء

أقبل الفاتحون فى الجَحْفل المجْر[٥] م يَزِينُ الاباءَ فيــه المضاء

وعليهم من السماحةِ والعفةِ م والدينِ والهــدى رُقباء

لاهوًى يغْلبُ النفوسَ على القَصْدِ م ولا خَيْــلَةَ[٦] ولا بغضاء

لا ولا نَشْوةُ المشيَّع بالنصرِ م وللنصر نشــوةٌ حمقاء

قد شأى الناسَ بين عُربٍ وعُجم شَهِدَ اللهُ هؤلاء الصُّباء[٧]

الأشداء فى الجهادِ وفى الحقِّ م وفيما عــداهما الرُّحماء

وقفَ الدهرُ خاشعاً حين وافت تتهادى بربّها القُصَــواء[٨]

---

(١) السير السريع (٢) الاسراع (٣) المقصود الشريعة السمحاء
(٤) تسامى (٥) العظيم الكثيف (٦) كبر وخيلاء (٧) الصابى الخارج عن دينه وكانت قريش تسمى المسلمين الصباء زراية بهم (٨) ناقة النبى

الهُدى والوقارُ والنبلُ والسَّروُ م عليها والعــزَّةُ القعساء

ومنارُ القرونِ تَمْثُلُهُ[1] الرُّسْلُ م وتمشى فى ظلِّه الأنبيــاء

ثم أفضى إلى العتيقِ فقال الناس م قد حاق بالعُصاةِ البــلاء

قد عَتوْنا عليهم وبغينا فانظروا اليومَ ما يكونُ الجزاء

قال يا أهلَ مكةٍ ما تقولون م فقالوا الأسجاحُ[2] والإغضاء

قال فى حكمةٍ وبارعِ رأىٍ لا عليكم فأنتمُ الطُّلَقاء

* * *

مهبطَ الوحىِ هل إليك مآبٌ وإلى بيتِــك العتيقِ انثناء

لو تراخت لنا الحياةُ رجَعنا وهدانا لك الهوى والوفاء

فسلامٌ عليك فى حَرَمِ الخُلْد م وسِــلْمٌ ورحمـــةٌ وثناء

وَرَدَتْكِ النفوسُ وهى ظِماءٌ فارْتوتْ وانثنتْ وهن ظِماء

مكة المكرمة فى ديسمبر سنة ٩٤٢

(١) مثله يمثله : يأتم به وينسج على منواله (٢) الاحسان والعفو

على عرفات

ذكرتُك يومَ النَّفْرِ[1] والدمعُ ساجمُ
عَلَى عرفاتٍ والنزاعُ عُرامُ[2]

فأجهش قلبي جَهْشةً راح بعدها
وفيه مَراحٌ للضنى ومَسامُ[3]

وأنكرَ أصحابي بكائي ولوعتي
وقالوا أتبكيها وأنت حَرامُ[4]

وحقٍّ الذي عندي لها من مودةٍ
وشَوقٍ له بيْن الضلوعِ ضِرامُ

وعهدٍ عقدناه صغيرَيْن لم تَهُنْ
له ما حيينا حُرْمَةٌ وذِمامُ

---

(١) يوم عرفة (٢) شديد وحاد (٣) مرعى (٤) محرم

فليس بُكائيها لأنى فقـــدتُها

وكلُّ حيـــاةٍ للمنيةِ هامُ[1]

وكلُّ نعيمِ اليومِ مُحْتَضَرٌ غداً

وكل ابتداءٍ مُعتريه ختـــامُ

وسبحانَ من يُنشي ويُفني فتخلف ال

دهورَ دهورٌ والأنامَ أنامُ

بكيتُ لها أن لم تقفْ وقفةَ الرضا

على عرفاتٍ والحجيجُ قِيـــامُ

مُلبِّــين بكَّائين يستغفرونه

وبعضُ الدموعِ السافحاتِ كلامُ

ولم تتطوَّف بالعَتيق ولم تُفِضْ

إلى روضـةِ الهادى عليه سلامُ

---

(١) هام هنا بمعنى الهدف

إلى روضةٍ فيها الهُدى يغمرُ السنى

وفيها لألوانِ الكمالِ زِحامُ

مُقامُ رسولِ اللهِ للكونِ رحمةٌ

وأمْنٌ وللسمْحِ الكريمِ[1] قِوام

مُنى صوَّحت[2] كالروض جافاهُ جدول

وضنَّ فلم يسكُبْ عليه غمامُ

* * *

وقفتُ أناجى اللهَ عند المشاعرِ[3]

وقدخَشَعت نفسى وجاشت خواطرى

وقلتُ له قد شفَّها فأذابَها

ضَنى دبَّ فى حالٍ من العمر ناضرِ

وحاقت بها الأحداثُ شتى شُكولُها

فلم تلْقها إلا بإيمانِ صابرِ

(١) الدين (٢) جفت ويبست

(٣) المشعر الحرام بالمزدلفة ومشاعر الجمرات بمنى

أخٌ فأخٌ ثانٍ فأختٌ فثالثٌ
تهاوَوْا دِراكا كالنجوم الزواهر

تَلَقَّتْ على ضَعفٍ مُصيباتِ فقدِهم
فناءتْ بفدَّاحٍ من الخطبِ صاهرِ

وزالت كطَلٍّ الفجر لم تَخلُ روضةٌ
تعاهدَها من عبقرىٍّ المآثرِ

وقلتُ له يا ربِّ أقسمُ صادقا
وأنت عليمٌ ربَّنا بالسرائر

فما بَرِمتْ يوماً بداءٍ ولا شكت
لغـــيرِك ما قدَّرته من مقادر

وما فَتَرَتْ عن شكرِ أيديك عندَها
ورُبَّ صحيحٍ ناعمٍ غيرُ شاكر

فأجزلْ لها يا ربِّ نعمةَ مُنعمٍ
لديك وطالعْها بغفرانِ غافرِ

* * *

بَنِيَّ ابتُلينا بالليالى الغـــــوادرِ

تكرُّ علينـا والجدودِ العواثرِ

فقَدنا بها نُعمى الحياة وأمْنَهَا

وهُنًّا كعقد اللؤلؤِ المتنـاثرِ

سنضربُ فى الدنيا إلى أن نَجيئَها

بقسمةِ محرومٍ وصَـفقةِ خاسرِ

مكة المكرمة فى ديسمبر سنة ١٩٤٢



في عوالي مِنى

ولما مررنا بالْحجونِ[1] وطالعت

سوابقُ سياراتِنا الخيْفَ من مِنى

وقيل بلغتم مسجدَ الْخيْف فاحبسوا[2]

وآن لضيْفِ[3] اللهِ أن يَبلغُوا المُنى

ذكرتُك في أنْسٍ وَرَوْحٍ وَغِبطةٍ

ومذ بِنْتِ لم أذكرْك إلاَّ على ضَنى[4]

يُحدثُني قلبي وقلبي مُصدّقٌ

ونحن بأرضٍ شمَّت الطُّهرَ والسَّنى

بأنكِ عند اللهِ في خيرِ منزلٍ

رعاكِ فأدنى واجتباكِ[5] فأحسنا

---

(١) مكان بين مكة ومنى (٢) قفوا وانزلوا (٣) جمع ضيف كأضياف

(٤) الألم والمعاناة (٥) اصطفاك

حلفتُ ببيتِ اللهِ وافتْ جموعُنا

إلى ساحِهِ من كلِّ فجٍّ فضمَّنا

وبالروضةِ الثاوى بها سيِّدُ الورى

ومضجعِك الأسنى وما قد تضمَّنا

عرفتُك من عشرٍ وعشرين قبلَها

إذ الدهرُ موصولٌ به الخفْضُ[1] والهنا

سنينَ الصِّبا نشوانَ والحبُّ ثائراً

وعُشُّ الهوى فينانَ والعيشِ ليِّنا

فما كنتِ إلا رحمةً لى ونعمةً

وروْحاً وريْحاناً وهدْيًا ومأمنا

وما كنتُ إلا صادقَ الوعدِ وافيا

وليس الوفا فى مَيْعَةِ العمرِ[2] هيِّنا

وقانى كمالٌ فيك أن أتبَعَ الهوى

كما يفعلُ الفتيانُ أو أتلوَّنا

(١) رغد العيش ولينه (٢) أول الشباب

وما كنتُ زوجا خان « يا زين » بيته

ومن خان ظنَّ السَّوْءَ ثم تخوَّنا

وما كنتُ أرضى غيرَ أُنْسِك مَشرعا

وما كنت أبغى غيرَ عَطْفِك مُقتنى

وما كان لى إلا بِبَيْتَيْـــكِ مُتعةٌ

فزالا وكانا لى وللسعْدِ مسكنا

وكنتِ لىَ الظلَّ المقدَّسَ والجَنَى

فأمسيتُ قد رُوِّعتُ فى الظلِّ والجَنَى

أروحُ على نارٍ وأغدو على جَوًى

فيا لَمصابٍ قد أصابَ فأثخنا

عليكِ سلامُ الله « يا أمَّ واثق »

تحيـةَ مقروحٍ بكاك فبيَّنا

مكانُك فى بيتى مصونٌ ومهجتى

وذلك عهدُ اللهِ « يا زين » بيننا

منى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٢

فى أيام التشريق

ولقد ذكرتك فى ثلاثِ مِنًى[1] بالمأزمين[2] فعقَّنى صبْرى

همتْ الدموعُ وأجهشت كبدى وترنّح المسكينُ فى صدْرى

وذكرتُ عزمَكِ غيرَ وانيةٍ والعزمُ لا يخلو من الأجرِ

فجعلْتُ استأنيكِ[3] معتذرًا بمُموَّهٍ رَثٍّ من العذْرِ

لم أنْسَ قولَكِ جِدَّ عاتبةٍ فى أدمعٍ تنهلُّ كالقطر

هبْنى انتظرتُ لقابلٍ[4] أتُرى يَطوى الزمانَ لقابلٍ عُمرى

ما كنتُ أدرى أن ليلَ غدٍ مُفْضٍ بنا لفجيعة الدهر

ولقد ذكرتُ لياليًا سلفت والذكرياتُ ذخائرُ العُمْرِ

ليلاتِ أُنسٍ فى لفائفِها ما فى الصِّبا والحبِّ من سحرِ

---

(١) أيام التشريق بمنى بعد الوقوف بعرفة (٢) موضع بين مزدلفة وعرفة
(٣) اطلب اليك الارجاء (٤) العام القادم

أحلى من اللّقيا إذا اختُلِسَتْ وألذُّ من إغفاءِ الفجْر

والدارُ حاليــــةٌ برَبّتها كالثغرِ رفَّ[1] ببسمةِ الثغر

تُضفى عليها البشرَ عالمـةً أن الحياةَ تُطاقُ[2] بالبشْر

وتَمَسُّها بهـــوى وخالصةٍ كالطَّلِّ مسَّ مراشفَ الزهْر

مَنْ حاملٌ من أيِّم[3] بمنى لثرًى يضُمُّ مُناه فى مصرِ

مُستوحشٍ أسوانَ فى زُمَر سَعِدتْ بيوم النحر والجمْر[4]

قُبلاً من الأعماقِ أنثُرها فى دامعٍ دامٍ من الشِّعرِ

وهوًى أُقيمُ على الوفاءِ له فإذا قضيْتُ وفيْتُ فى قبرى

منى فى ديسمبر سنة ١٩٤٢



(١) أضاء (٢) تحتمل بمشقة (٣) فاقد زوجه

(٤) الجمر إلقاء الجمرات وهى من مناسك الحج

على قبر خديجة أم المؤمنين

هذا الجلالُ له وهذا الرونقُ
وهو المُسوّى بالصعيدِ المُلْصَقُ

قبرٌ تراه فلا تكادُ وربَّما
ضَوِىَ الفتى وهو الأعزُّ الأعرقُ

إن لم يَرُقْ للعَينِ فهو مهابةٌ
تعنو لها نفسٌ ويخشَعُ مَفْرِقُ

جَمَعَ الخلائق فى سموٍّ طرازها
وفريدِه هذا الحفيرُ[1] الضيِّقُ

يكفيه من عُليا المنازِل أنه
يَسْنَى[2] بأم المؤمنين ويَسْمُق[3]

ولقد وقفتُ به وقد وقبَ[4] الدُّجَى
فتعاظمْتنى روعةٌ تتدفَّقُ

(١) القبر (٢) يشرف . (٣) يطول ويعلو . (٤) حل الظلام

والنفسُ بالصورِ الوِسامِ[1] مَليئةٌ

تُجلى لأمِ المؤمنين وتُعشقُ[2]

والكابرون الخالدون[3] حيالَها

يكسو مضاجعَهم جلالٌ مُغدِقُ

وحِراءُ وضّاءُ المتالِعِ والرُّبى

عالٍ على لحظِ العيونِ مُحلِّقُ

متفرِّدٌ بجـــــلالةٍ قُدسيَّةٍ

قعساءَ[4] لا تُشأى[5] ولا هي تُلحقُ

قد كلَّلتْ هاماتُه وشِعابهُ

بسنًى يرفُّ الكونُ فيه ويُشرقُ

شَهِدَ الزمانُ عليه وَحْدانيَّةً

غَمَرَ الزمانَ ضياؤُها المتألقُ

ورأى الوجودُ على عتيقِ[6] ترابهِ

عِتْقًا من الرِّقِّ الذى يتذوَّقُ

---

(١) جمع وسيم وهو الجميل (٢) تعشق هنا بمعنى تصور

(٣) هم عبد المطلب جد النبي وأبو طالب عمه وغيرهم وهم مدفونون الى جوارها

(٤) منيعة وثابته (٥) لا يفضل (٦) شريف

اقرأ . فلم يقرأ ولكن شعّه
دينا هو الفنُّ الجميلُ المونقُ
أرسى على الأخلاق سَمْحُ أساسِهِ
والعقلُ من أعجازِه والمنطقُ
يا أمّ فاطمَ لم يُتحْ لكريمةٍ
فضلٌ كفضلِك في الورى مُستوْسِقُ[1]
قد ثبَّت الأسلامَ أنك كهْفُه ال
أعلى وأنك حِضنُهُ المُترفقُ
أرأيتِهِ يسعى إليك وقلبُه
مما رأى بحراءَ عانٍ مُقْلَقُ
حيرانَ مُضطربَ الُخطى مُتَجَهِّما
يرنو بحَيْرته إليك ويَرمُقُ
هلْ كان نَهْبَ الوهمِ فهو مُكذبٌ
أم راء[2] عينَ الحقِّ فهو مُصدِّقُ
زمَّلتِه وكففتِ ثورةَ نفسهِ
وأساهُ سائحُ عطفِك المترقرقُ

---

(١) محكم ومجتمع . (٢) رأى

ما أُمُّه أحنى عليه جوانحاً

لو مُلِّأَته[1] ولا أبوه أشفقُ

وَسكَبْتِ فى أوصالهِ ثقةً فلا

وَهْمٌ يُطلّ ولا وساوسُ تَطرُق

فمضى بعينك يُبلغُ الكونَ الهُدى

ثَبْتَ الفؤادِ عن الهَوى لا ينطِقُ

بيمينهِ التنزيلُ تَخلُق جِدةُ ال

دنيا وغضٌ جديدِه لا يَخلَق

يَطوى الدهورَ إلى الدهورِ وهَدْيه

بَلْهَ البيانِ بكل دهرٍ أخلقُ

أنتِ التى كفلَ النبوّةَ حبُّها

وحنوُّها ووفاؤها المتألقُ

آمنتِ أولَ مؤمنٍ مستوثق

للهِ ذاكَ المؤمنُ المستوثق[2]

* * *

(١) لو نعمت به (٢) المتثبت .

في بيتكِ استَقْبَلتِه أغنى الورى
وهو المُقلُّ كما عهدتِ المُملقُ
ليس الغنى مالاً يُفادُ ويُقتنى
إن الغنى خُلُق يطول ويسمُقُ
زوجٌ يَراحُ[1] بزوجه ويحوطُها
بهوى وخالصةٍ[2] تُضيء وتُشرق
يُنمى عقائلَ مالها ويصونه
طبًّا[3] بما يُنميهِ أو ما يُنفق
يَهنيكِ أنكِ قد ظَفِرْتِ بواحد
هو في الوجودِ الواحدُ المتفوِّقُ
ما في الورى منذ الخليقةِ سابقٌ
لكريمةٍ إلاَّ وزوجُك أسبقُ
أو باحثٌ متأملٌ متعمقٌ
إلاَّ شآه[4] الملهمُ المُتَعَمِّقُ

(١) يرتاح ويأنس (٢) ود ومحبة . (٣) خبيراً
(٤) سبقه وبذه

أو مُعرقٌ متحدِّرٌ عن مُعرقِ
إلّا وأحمدُ يا خديجةُ أعرقُ

الكاملُ المُتَوَثّبُ المتهجدُ ال
عفُّ الأمين الصادقُ المتصدقُ

قد عشتما قبل النبوّة حِقبةً
بسنائها[1] جيدُ الزمانِ مُطوّقُ

كان النبيَّ وأن تأخرَ بعثُهُ
تزكو النبوّةُ فى حماهُ وتورقُ

ودَّت لو اندفعتْ له قَبل المدى
سبّاقةً تَطوى الزمانَ وتَسبِقُ

يا روضَ أمِّ المؤمنين مُطَهَّراً
يهفو[2] له غربٌ وينزعُ مشرِقُ

ذكرتنى « بالربعماية » مضجعاً
بخديجةٍ أخرى يرفُّ ويعبَقُ

فيها مشابهُ[3] من خديجةَ جمَّة
والقدوةُ العليا تُرام فتلحقُ

(۱) بشرفها وكرمها (۲) هفا القلب اشتاق وتحرك (۳) جمع شبه

برٌّ وإيثارٌ وفضلُ سماحةٍ
وكريمُ تضحيةٍ ورأىٌ أوثقُ
وتمسكٌ بالعُروةِ الوثقى على
علمٍ بها وتجملٌ وترفُّقُ
ونبالةٌ مكسوبة موروثة
عزَّت[1] فعزَّزها[2] نِصابٌ[3] مُعرقُ

* * *

يا قلبُ قد لَقِىَ الأحبةُ ما لقوا
إن عشتَ بعدهمو فما لكَ موْثقُ
ذهبوا كما ذهبت بشاشةُ نِعمةٍ
ومضوْا كما يمضى السَّنى المتألقُ
كانوا هواكَ فما خفَقْتَ بغيرهم
مذ أنت لا تدرى لماذا تَخفِقِ
آنَسْتَهَا مِلْأَ النواظِر طِفْلَةً
الحسنُ فى قسماتها والروْنقُ

---

(١) من العزة (٢) من التعزيز أى التأييد (٣) النصاب الأصل والمجد .

تختالُ فى حُلَلِ النعيم وتَنْثَنى
وترِفُ[1] فى وشْىِ الشباب وتبرُقُ

تُجرى الوشاحَ على بتيلٍ[2] مُخْطَفٍ
كالغصْنِ كاد من النضارة يورق

جُلِيتْ عليكَ شقيقةً فصديقةً
لخليلةً تَهَبُ الرِّفاءَ[3] فتُغدقُ

مدَّت عليك ظلالَ أنسٍ ناعمٍ
فإذا حياتُك بسمةٌ تتألقُ

العيشُ يَنْدى والبشاشةُ طلْقةٌ
والأنسُ سَكْبٌ والمُنَى تتحققُ

والدار حاليةٌ بأسعد أسرةٍ
حتى لكادت بالرفاغةِ[4] تَفْهَقُ[5]

سَعِدتْ بمسعودين يجمعُ شملَهم
حبٌّ وخالصةٌ وعطفٌ غَيْدَقُ[6]

---

(١) تضىء أو تهتز . (٢) نحيل .
(٣) الاتفاق والانسجام فى المعاشرة (٤) الرغد وخفض العيش
(٥) تفيض (٦) من غيدق المطر أى كثر

دانتْ[1] لهم نِعَمُ الدنا فتنعموا
ودنا لهم وردُ المناءةِ فاستقوا
وتألَّفتْ أرواحُهم وميولُهُمْ
كالراح بالعذبِ الفُراتِ يُصفِّقُ
حتى إذا أوْفى نعيمُهُمُ على
غاياتهِ فتملأوا وتذوَّقوا
عصَفَ الزمانُ بركنهم فتصدَّعوا
وهوى الردى بملاذِهم فتفرقوا
وانجابَ أنسهُمو فعَيْنٌ ثرَّةٌ[2]
وجوانحٌ هَدْمَى وقلبٌ مُحرق

* * *

أبنيَّ قد حُمَّ القضاء وحَلَّ بى
وبكم مُلمٌّ فِى الكوارثِ مُطبقُ
لم أنْسكم عانين صرْعى حولَها
وقلوبُكم مِن حسرةٍ تتشققُ

(١) ذلت (٢) كثيرة البكاء

هذى تَفـدِّيها وذاك يضمُّها
وأبوكمو المُلقى هنـاك المُصَعقُ

وتنفَّستْ فمضى إلى عليـائه
نُورُ الحيــاةِ وسرُّها المستغلقُ

فإذا الحيــاةُ على سموِّ مكانِها
فى مزقة[1] مِن لحظةٍ تتمزقُ

أبنىَّ عوجلتُم بِيُتْمٍ داهمٍ
واليـتمُ لا يحنـو ولا يترفقُ

سنعيشُ ما عشنا يلجُّ بنا الجوى
عانين تُصْبحنا الهمومُ وتَطرُقُ

فى أضلُعى وشعوبِ[2] نفسى تلتقى
أشجانُكم وأسـاكمو المُتفرقُ

فإذا اختلافُ الدهرِ كفـكفَ دَمْعَكم
والدهرُ يُنسى والشبابُ الريِّقُ[3]

(١) جزء (٢) مسالك نفسى (٣) أول الشباب .

فأنا الذى لا يَنْثَنى يعتـادُه

همٌّ يؤرقـــهُ وبثٌّ مُوبقُ

الذاكرُ الوافى الولىُّ[1] على المدى

والأيِّمُ الباكى الحزينُ المطرقُ

مكة المكرمة فى ديسمبر سنة ١٩٤٢



(١) المحب

نجوى

تقول ابنتي أَسرفتَ في البثّ[1] والبكا

وأنت لنا اليومَ الرجاءُ المُخَلَّفُ

فقلتُ وهل باكٍ على عِذْلِ[2] نفسِه

وقُرّةِ عينيه من المهدِ مُسرفُ

فقدتُ نعيمَ العيشِ لما فقدتُها

وكنتُ بها والعيشُ فينانُ مُتْرَفُ

نذوقُ معاً شُهْدَ الحياةِ وخَمْرَها

ومذْ ذهبت فالثُّكْلَ ما أترشَّفُ

أسِيتُ لقلبي نازعاً متلهِّفاً

عليها . وهل ردَّ القضاءَ التلهُّفُ

---

(١) البث أشد الحزن .   (٢) العدل المثل .

نأت عنـــه نُعماه وأودى غياثُه

فأمسى تَهاوَى فى ضُلوعٍ تقَصَّفُ

فعدتُ كأنى فى الدُّنا رهنُ محبسٍ

وعادت حياتى وهى جرداءُ صفصفُ[1]

*
* *

مضتْ أمكُم كالشمسِ لمَّاحَةَ السَّنى

وزالت كما زال الربيعُ المُفوَّفُ[2]

ومالَ عمودُ البيتِ وانفضَّ أُنسُه

وريعَ به مغنًى وأوحشَ رفْرَفُ[3]

كأَن لم يكن بالأمس طلْقاً رُواؤه

يرفُّ به رِفْهٌ وشمْــــلٌ مؤلَّفٌ

وأقسمُ كانت لليتامى دريئةً[4]

تزودُ الأسى عنهم وتأسو وتُنصفُ

---

(١) خالية موحشة (٢) هنا بمعنى الملوَّن (٣) المجلس فى البيت أو البساط
(٤) عصمة

تَضُمُّ جناحَيْها عليهم حفيَّـــــةً

وتحنو حنوّ الوالداتِ وتَعطِفُ

وكانت تقومُ الليــــــلَ إلاّ أُقلَّه

وأحلافُها فيه مُصلى ومُصْحَفُ

مدامعُها من رَوْعَةِ الذكرِ ذُرَّفُ

وأوصالُها من خشيةِ الله رُجَّفُ

تَهَجُّدَ[1] أوّابٍ[2] وتسبيحَ قانت[3]

فلِله ذاك الخاشعُ المُتخوِّفُ

بنيّ اصـبروا للخطبِ إن شبابَكم

يُرفه من فدْحِ الجوى ويُكفكِفُ[4]

لئن مُدَّ فى عمرى أمنتم وإن أمُت

فربُّكموا أحنى عليكم وأرأفُ

أخافُ عليكم ريْبَ دهرٍ يسوءكم

وإنِّىَ من إغضاءةِ الأهل أخوفُ

---

(١) العبادة ليلا فى غير فريضة (٢) الأواب الكثير الرجوع لله تعالى

(٣) مطيع . (٤) يخفف

وحي يثرب

أتلك روابيها العُـــلا وهِضابُها
وهذى القِبابُ المُشْرِفاتُ قِبابُها

بلى إنها مثْوى الرسولِ وروْضُه
تقـــدَّس واديها وعَفَّ تُرابُها

أفضنا إليها خاشـــعاتٍ قلوبُنا
مُسَبِّحةً أحناؤُها وشِـــعابُها[1]

يلجُّ بها شوقُ لأطهرِ مضجعٍ
فتَنْدَى[2]. وقديَشْفى القلوبَ انتحابُها

وتملأُ أطواءَ النفوسِ مَهابةٌ
تَوالَى تَغَشِّيها لهـــا وانْتيابُها

نردُّ الدموعَ السافحاتِ ونثنى
فلا ينثنى تَهتانُها وانســـكابُها

(١) شعاب القلوب مسالكها (٢) تبتل بالدمع

ذكرتُ رسولَ الله والبيدُ حوْلَنا

تُطالعنا أسرابُها وسرابُها

على هجرةٍ أفضتْ إليها زكانةٌ[1]

وحكمةُ رأيٍ لا يزلُّ صوابُها

أكاد أراه ثانيَ اثنين أمسيا

على خُطةٍ ليست قليلا صِعابُها

تَضمُّهما ظلماء ضافٍ رُواقُها

وتَطويهما بيداء طاغٍ عُبابُها

وخَلْفَهما تَضْرى[2] قريشٌ وتغتلي

بأحقادِها مَخْزومُها وكلابُها[3]

أُعِدَّت مَذاكيها[4] وسُلَّتْ سيوفُها

بليلٍ وضجّت بالعداء غِضابها

يريدون شراً بالرسولِ ودينهِ

وتلك مُنى أعيا قريشاً طِلابها

---

(١) سداد وصحة فهم

(٢) تضرى من الضراوة وهنا بمعنى تثور

(٣) قبائل من قريش

(٤) الجياد من الخيل

غفا[1] الأسْدُ من أهليه عنه وسالموا

عليـــــه فهبَّتْ تبتغيه ذئابُها

فيالَخُطًى سمْحاءَ باتَ يَعدُّها

ويَرْجُفُ تاريخُ الدنا وانقِلابُها

* * *

ولما بلغنـــا رواحتنا مشارفٌ

يرفُّ عليهـا طُهرُها وانتسابُها

وشَدّت إليها أعْيُنَ الركبِ روضةٌ

تَعالى على لحظِ العيونِ جَنابُها

مباركةُ الأفنـاءِ لمَّاحةُ السّنى

تَضَوَّعُ مسكا ساحُها وقبابُها

حوتْ واحدَالأكوانِ مُذْ بدءِ خَلْقِها

إلى يومَ يُطوى كالزمانِ كتابُها

وضمّتْ سراجَ الخلقِ تهفو[2] قلوبُها

إليه وتعنـو[3] باليقينِ رقابُها

---

(١) نام واسترخى . (٢) تشتاق وتنزع (٣) تخضع

نبيٌّ جلاهُ اللهُ للناس حُجةً
فأقصرَ عنهـا شكُّها وارتيابُها
وأرسـله عِتْقاً وأمناً ورحمـــةً
يُضيءُ دياجيرَ الوجودِ شِهابُها
وأيّده بالدينِ يصـــفو معينُه
ويزكو. و بالأخلاق يَسْرَى[1] نِصابُها[2]
نَمَتْه القرومُ الصيدُ من آل هاشم
مُطَهَّرةً أحسابُهـا وثيابُهـا
وقفتُ وما سلَّمتُ حتى ترادفتْ
خواطرُ نفسٍ قد دهاها مُصابُها
عِذابٌ[3] من الأيامِ أقلعَ أنسُها
ولم يبق إلا همُّها وعَـــذابُها
وأطيافُ ذكرى صابُها طَمَّ شُهدَها[4]
بِروحيَ شُهدُ الذكرياتِ وصابُها

(١) يشرف ويكرم (٢) أصلها ومعدنها
(٣) جمع عذب (٤) مرارتها غلبت على حلاوتها

ذكرتُ التى كانت تَمنَّى لو أنها

تَرامتْ إلى روضِ الرسولِ ركابُها

دعتنى فلم أطْلِبْ[1] وثنَّتْ فلم أُجبْ

فكان بكاءَ القانتاتِ[2] عِتابُها

وقلتُ لها فى قابلٍ[3] فتهلَّلت

فما إن دنا حتى فجَانا ذَهابُها

ودِدْتُ بعينى لو أجبتُ طِلابَها

وكان يسيراً أن يُجابَ طِلابُها

ذَوَتْ مثلَ أفوافِ الربيع ونوْره

جفاها الندى وانجابَ[4] عنها سحابُها

ومالت مَميلَ الشمسِ يضفو[5] بهاؤها

ويَرْفُلُ فى وشىِ النعيمِ شبابُها

تشبَّثتُ بالأستارِ يحجُبْن هالةً

من النور قد عزّت وعزّ حجابُها

---

(١) اطلب أجاب الطلب . (٢) المطيعات (٣) العام المقبل

(٤) انقشع (٥) يفيض ويسبغ والاشارة هنا ليست عائدة على الشمس

وقلت ودمعى مُستهلٌّ وأضلعى

بما ضَمِنَتْ . ما يستقرُّ اضطرابُها

سألتك ربِّى أن يعزَّ مُقامُها

لديك ويَسْنِى فى حماك مآبُها

إليك مثابى ربَّنا ومثابُها

وفيك احتسابيها وجلّ احتسابُها

* * *

على يثربٍ منا سلامٌ ورحْمَةٌ

كموْشىِّ أنداءِ الصباحِ انسكابُها

كفاها سنًى أن البقيعَ ترابُها

وأن قِبابَ الرضتين قِبابُها

وأن شفيعَ المرسلين رسولُها

وأن كتابَ العالمينَ كتابُها

المدينة المنورة ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢

يوم ميلادك يا بُنيّ

يومُ ميلادِك يا بُنى عادنى — وهو عيدٌ — بالأسى والحسراتْ
ملأَ النفسَ شُجوناً وجوًى — وهى ملأى — وأثار الذكرياتْ
كيف رُضْتَ النفس فاستقبلته يا وقاك اللهُ شرَّ النائباتْ
أتقلَّبتَ على جمْر الغضى أم تدرّعتَ بصبرٍ وثباتْ
وتقبَّلت بقلبٍ موجعٍ تَهْنِئاتٍ ! يالها من تهنئاتْ
جُمعتْ من أدمُعٍ مُنهلَّةٍ عن جفونٍ وكبودٍ دامياتْ
هَلْ تُرى أهلُك أخفَوْا دمعَهم فى ثنايا البسماتِ الكاذباتْ
أم تُراهم غَلَبَتْهُم حَسْرةٌ نبَّهتْ فيك دفينَ الحسراتْ

***

رُبَّ عيدٍ لك من عامٍ مضى جَمعَ السعدَ وضمّ البُشرياتْ
حلّ لمَّاحَ السنَّى مؤتلقا مُشْرِقَ الوجهِ وسيمَ القسماتْ
فإذا البيتُ مُضىءٌ باسمٌ كالسماءِ ازيَّنَتْ بالنيراتْ

أسرةٌ ناعمةٌ هانئـــةٌ   فى ظلالِ الحب والعيشِ المُؤات

جَمعتْ ربّتُهمْ شَمْلَهمُو   بوثيقٍ من كريمٍ الوُصُلات

مِلْءُ حِضْنيها الرفيقينِ لهم   ساكبُ العطفِ وضافى الرحمات

تَنشرُ النُعمى عليهم طَلْقَةً   والُمنى مَوْشيَّةً والبسمات

أَكرمُ الناسِ يداً واهبةً   تبذُلُ العُرْفَ وتولى المكرُمات

فإذا ضاق عن البذلِ المدى   أومأتْ بالعُذر بين العبرات

* * *

يا ابنَ أحلامى وروحى ودمى   وصِمامَ الأمْنِ عندَ النازلات

إنمـا أنت بقايا أملٍ   لاح لى بين طوايا الظُلُمات

حزَّ فى نفسىَ إنّى غائبٌ   لم أُبادلْك البُكا والزفرات

أنا فى أشرفِ أرضٍ بُسِطَتْ   تحسدُ الرملَ عليها النّيرات

جارُ من أرسلَه اللّهُ هُدى   وسناءً وسنًى للكائنات

فجلا للكوْنِ ديناً رائعاً   كرّمَ العقلَ وصان الُحرُمات

قُلْ لأختيكَ اسلما واستسلما   واطلبا بالصبرِ أجر الصابرات

سنةُ اللهِ على الخلقِ جرتْ قد علمتم كلُّ جَمْعٍ لِشتاتْ

أنفذَ اللهُ الذى قدَّره أنه أنشا وأحيا وأماتْ

رَدِيتْ[1] أمُّكمو ويحَ الردى كيف لم يرحمْ أبرَّ الأمهاتْ

طويتْ عن سيرةٍ طاهرةٍ وكتابٍ حافلٍ بالحسناتْ

فخذوا العيشَ بأيْدٍ[2] وهُدى واقتفوا آثارها فى الخالداتْ

لا تقولوا فقدُها مُقْعِدُكم عن بلوغِ الدرجاتِ المُشرفاتْ[3]

رُبَّ أيتامٍ ضعافٍ قلَّدوا عُنُقَ الدهرِ جليلَ المأثُراتْ

لا تقيسوا بأبيكم شأنَكم المقاييسُ لنا مُختلفاتْ

إنه ماضٍ وأنتم قابلٌ والدنا تَصْدِفُ عن ماضٍ لآتْ

أنا أن عشتُ فحسبي مُتْعَةً أن أُذيبَ العمرَ بين الذكرياتْ

المدينة المنورة فى أول يناير سنة ١٩٤٢



(١) قضت (٢) بقوة (٣) العليا

أُحُـد

لئنْ ملأَ العينَ مرأى أُحُدْ فقدهاجت النفسَ ذكرى أُحُدْ
وقفنا به ساعةً فى الضُّحى فلله أىَّ شُـعورٍ أَجَدْ[1]
رَجَعتُ بذاكرتى القهقرى إلى ساعةٍ قد طواها الأبدْ
أمرُّ القرونَ وأطوى السنين مئاتٍ على الدهرِ مما نَعُدْ
تمثلْتُهمْ قبل أن ينفرُوا وجيشُ قريشٍ دنا فاستعدْ
تَجمَّعَ من خيرِهم محتِدا وأَشرفِهم والداً أو ولدْ
وأخبرِهم بفنون القتـــال وأَجمعِهم للنُّهى والسَدَدْ[2]
وأكثرِهم جَلَداً فى النضالِ وخيرُ عَتادِ النضالِ الجلدْ
أتَوْا حاقدين وشرُّ العـداء عَداء الولىِّ[3] إذا ما حقَدْ
تُطالعُهم « بَدْرُ » ما أصبحوا وما روّحوا بالجوى والكَمَدْ
فراقُ الأحبَّة أن يَصبروا له ويقولوا المنايا رَصَدْ[4]

---

(١) أثار (٢) السداد (٣) القريب الصديق
(٤) مترقبة . أو واثبة

فما صَبْرُهم وهوانُ الزمانِ يعاوِرهُم وشَنارُ[١] الأبدْ
تصدَّى لأربابهم ساحرٌ تَحدَّى فقال برِبٍّ أَحَدْ
وأزعَجهم شاعرٌ لم يزل يُطالعهم بالوصايا الجُدُدْ
وقد علم اللهُ ما صَدَّهم عن الحق غيرُ الهوى والحسدْ

* * *

تمثلتُهم فى فِناء الرسولِ أحاط به جمعهُم وانعقدْ
وللرأىِ مُصطرعٌ بينهم فمنه السديدُ ومنه الأسَدْ
وقال النبىُّ وقالوا له فلما رأوْا رأيَهم لم يَحِدْ
وقد يُخطئُ الفصلَ جمعُ الرجالِ ويُحسنه المُلْهَمُ المنفردْ
أراد ليشرعَ شُورى الأمور ويُرسى قواعدَها والعمَدْ
طِرازٌ من الحكم يفنى الزمانُ ويبقى منارَ الهدى والرَشَدْ
تُضِيء على جانبيه الحياةُ ويَفشو السلامُ ويضفو الرَّغَدْ

* * *

وأفضوْا إلى أُحُد فابتغى لو اسطاعَ يسعى إليهم أُحُدْ
كثيرٌ إذا قُدِروا بالصِّيال[٢] قليلٌ إذا قُدِروا بالعَددْ
تمثلته قد تراءى الهُدى ورفَّ[٣] عليه السَّنى والصيَدْ[٤]

---

(١) العار (٢) القوة على الحرب والمهاجة (٣) أضاء
(٤) التعالى والاعتداد بالنفس وهى أوصاف يحبها صلى الله عليه وسلم عند الحرب

ومن حولِه الْحُمسُ[1] من صَحْبه أعدّوا ليوم الجهادِ العُدَدْ
عقائدَهم قبلَ أسيافِهم وأيمانَهم قبلَ ضافى الزردْ
ومن حَشَدَ الروحَ يوم النضالِ فقد حَشَدَ النصرَ فيما حشدْ
وقيل النّزالُ فشبّ القتال فما شَهِدَ الناسُ يوماً أشدْ
وسال على الجبل الدارعون وسالَ على جانبيه الجسد[2]
فلم يزْحمِ الجوّ غيرُ الغبارِ ولم يملأِ الأرضَ غيرُ الزُؤدْ[3]
كماة تِضجُّ وغيدٌ تَعِجُّ[4] وبُدْنٌ[5] تَنِدُّ[6] وخيلٌ تَخِدْ[7]
وقد فَتَح اللهُ للمسلمين بنصرٍ ولكنه لم يَكَدْ
فليتَ الرماةَ أطاعوا الرسولَ إذن لاستوى نصرُهم واضطردْ
ولكنها نزوةٌ تركبُ الطباعَ م وإن خلُصَ المُعتقدْ
مضوْا فتصدّى لهم « خالدٌ » فجاذَبَهم يومَهم[8] فاستردْ
فأوقع فيهم ومن لم يَثِبْ لفُرصته ذهبتْ . لم تعُدْ

* * *

تمثّلْتُ تحت لواءِ النبيّ فتى ساوَرَ المجْدَ ثم اقتعدْ
سليلَ البهاليلِ[9] من هاشمٍ وفارسَهم فى الوغى المُفتقدْ

(١) المتحمسون (٢) الدم (٣) الفزع (٤) تصيح والاشارة الى النساء اللاتى يشجعن المحاربين ومنهن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام وغيرهما (٥) النوق الفويه (٦) تهدر (٧) تعدو وتسرع (٨) يومهم أى نصرهم (٩) جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير

إذا أســـدُ الله هزّ الحسامَ فـكلُّ كَمِيٍّ طَعامُ الأسَد
رماه على غِـــرةٍ خاتلٌ وبالختْلِ يُؤتى الشجاعُ النُّجُد[1]
تصيَّده العبدُ من خلفه ولوْ جيءَ من قُبُلٍ لم يُصَدْ
ولما سما كلُّه للسماء ولم يبْقَ فى الأرض غيرُ الجسدْ
مشت فَوَجَتْ[2] صدرَه وانثنت وفى فمها أنفُه والكبدْ
فقل للكريمةِ أمٍّ الملوكِ وبنتِ بُناةِ العُلا من مَعَدْ
مثالُك يا هندُ فى المُحصناتِ قليلٌ وفى السرَوات[3] الْخُرُدْ[4]
غضبتِ لأهلِك فى المالكين فَجُرْتِ وأىُّ غضوبٍ قصَدْ[5]
لعلَّك حين ولغتِ الدماءَ وخِلْتِ الغليلَ اشتفى وابتردْ
بكيتِ لأروعَ عفِّ الإزار عفِّ الأسنّةِ عفٍّ اللّدد[6]
قليلِ الشكاةِ إذَا الدّهرُ ناب كثيرِ البكاءِ إذا ما سجدْ

*
* *

أَسِيتُ لجيشٍ كريم العَتادِ محضِ الضريبة والمُعتقدْ
تفرّعَ بالنصر صَدْرَ النهارِ فلم يُمْسِ إلاّ بشمْل بَدَدْ[7]

---

(١) الباسل الماضى لما يعجز عنه غيره
(٢) شقت بسكين .
(٣) ذوات المروءة والشرف
(٤) جمع خريدة وهى الحيية
(٥) عدل
(٦) الخصومة
(٧) مبدد . متفرق

وقيلَ انثنوْا بالرسولِ الأمين　　وقيل قضى وهوشاكى اللبَدْ[1]
لحا اللهُ عُتْبَةَ[2] فى الآثمين　　وحرّقهُ باللظى المتّقدْ
بأى يدٍ شَجَّ سرّ الوجودِ　　ونورَ الخلودِ وهدْىَ الأبدْ
رماه فأدمى الجبينَ الوضئَ　　وثنّى بأخرى لخال الزردْ
لشقّتْ على العرش تلك الجراحُ　　وعزّ على الله ذاك الجسدْ[3]
لئن نُكِبَ الجيشُ فى يومه　　فقد عاد مِلْءَ الدنا صبحَ غدْ

* * *

سلامٌ عليك حبيبَ الرسولِ[4]　　وسادِنَ[5] مسجدِه ذى العَمَدْ
حِراءِ لمكّةَ والأخشبان[6]　　وِقاءٌ وأنت لهذا البلد
هِضابُك أسنى[7] هضابٍ تقوم　　وسفحُك أقدسُ سفح قعدْ
وبينَ يديك كتابُ الزمانِ　　يشعُّ الهُدى ويُقيمُ الأوَد[8]
مواردُ حافلةٌ باليقين　　وبالحُكم[9] تَمْنَحُها من وَرَدْ
وداعًا فقد آن يومُ المآبِ　　إلى أفرُخٍ قد براها الكَبَدْ[10]
أصابهم الدهرُ فى كهفِهم　　وما وهبَ الدهرُ ألاّ استردْ
لئن عدتُ لم يَعدَموا آسياً　　وحسبهُمو اللهُ أن لم أُعُدْ

---

(١) تشبيهاً له بالأسد　(٢) عتبة بن أبى وقاص　(٣) الدم .
(٤) إشارة إلى الحديث الشريف عن أحد « هذا جبل يحبنا ونحبه »
(٥) السادن القائم بالخدمة والحجابة　(٦) أبو قبيس والأحمر جبلا مكة
(٧) أشرف (٨) الاعوجاج (٩) العقل والتجربة (١٠) الحزن والألم

ليلة وليلة

يا ليلةً جمعتنا بعد طولِ نوى
ذكراكِ هاجت لنا الأشجانَ ألوانا
ذكرتُ ما كان من عُرسٍ[1] جلوتُ به
عليَّ أكرمَ خلقِ اللهِ إنسانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبحَ مؤتلقا
والروضَ مُتَّسقا والبانَ ريَّانا
بتنا تُضيءُ ظلامَ الليلِ نشوتُنا
وتستثيرُ شُجونَ الليلِ نجوانا
قالت وقلت فلم تَفْرَغْ مقالتُنا
إلى الصباحِ ولم تهدأ شكاوانا
وحولَنا الليلُ يَطوى فى غلائلِه[2]
وتحتَ أعطافِهِ نشوى ونشوانا

---

(١) يقصد ذكرى العام لليلة العرس

(٢) جمع غلالة وهى ما يلى الجسم من الملابس

فما رأى قبلَنا إلفيْن قد فنيا

وَجْداً وذابا تباريحاً وتَحنانا

نـكادُ من بهجَةِ اللُقيا وروعتِها

نرى الدُّنا أيكةً [1] والدهرَ بُستانا

ونحسَبُ الكوْنَ عُشّاً اثنين يجمعُنا

والمـاءَ صهباءَ والأنسامَ ألحانا

والعمرَ وصلًا وآمالا مُذلَّلةً

والغيْبَ مؤتلقَ الآفاق مُزدانا

لم نَعتنقْ وذهولُ العُرس يغمرنا

وكم تَعانَقَ روحانا وقلبانا

ثم انثنيْنا وما زال الغليلُ لَظًى

والوجدُ محتدما والشوقُ ظمآنا

*
* *

يا ليلةً شبّت [2] الذكرى بعودتها

فى دوْرةِ العامِ ماذا هِجتِ لى الآنا

---

(١) الأيكة الملتف الناضر من الشجر . (٢) شبت بالتخفيف والتشديد أوقدت.

قد كنتِ فيما مضى أُنساً نَطيبُ به

نفساً فأمسيتِ أوصاباً وأشجانا

أضنيْتِ أسوانَ ما ترقى مدامعُه

وهِجْت فوق حشايا[1] السُّهدِ حيرانا

يبيتُ يودِع سمعَ الليلِ عاطفةً

ضاق النهارُ بها سَتْراً وكتمانا

ويُرسل الشجوَ فى سرِّ الدجى حَرَقاً

لو الدُّجى قُدَّ من صخرٍ إذن لانا

وأدمعاً من حنايا القلبِ ساكِبةً

قد يدْمَعُ القلبُ دونَ العين أحيانا

أشكو إلى الله بأساً ما أُطيقُ له

حَمْلاً . وبثّاً وأحزاناً وحِرمانا

وإنَّه — عزَّ فى عُليا مشارفه —

حين ابتلى لم يَهَبْ صبراً وإذعانا

---

(١) الحشايا جمع حشية وهى الفراش والوسادة .

أشكو إليه وفاءً قرَّ فى كبدى

وخالط الدمَ شِريانا فشِريانا

فإن جنحتُ إلى السُلوان أوْسَعَنى

عَتْباً . وضمَّ إلى النيرانِ نيرانا

* * *

يا من تعاهَدَنا[1] وُداً وخالصة[2]

وزادَنا بعدُ إيثاراً وإحسانا

ومن توافَتْ لنا الدنيا بأنْعُمِها

فى ظلِّه فإذا الفِردَوْسُ دُنيانا

ومن سعدِنا على موْشىٍّ رفرفهِ[3]

بالعيشِ طَلْقاً وبالإقبالِ فيْنانا

المونقُ الخَضِلُ الجْذلانُ ملعبُنا

والضاحكُ المشرقُ المأنوسُ مغنانا

أثابَكِ اللهُ من مُنْهَلٍّ رحمتِهِ

عنَّا وجازاكِ غُفرانا وَرضوانا

---

(١) أفاض علينا . (٢) محبة . (٣) المجلس أو البساط .

ظلمتُ وُدِّى وما أَنْصفتُ برَّكِ بى

لوْ قدْ وقفتُ عليكِ العمرَ شُكرانا

فلم أَبتْ منك مطوِيًّا على غضبٍ

ولم أَبِتْ قَلِقَ الْجنبين غَيْرانا

ولا تمنَّيتُ أَلا إِن تُسالِمَنى

فيكِ الدُّنا يا أَحبَّ الناسِ إنسانا

قد كنتِ حَسْبًا لنا لوْ قدْ سلِمتِ لنا

وزالت الأَرضُ بُلدانا وقُطَّانا

الربعاية فى ١٣ يونيه سنة ١٩٤٣



مضى صاحباى

تعجَّلْتُما حين أزمَعتُما رحيلًا فهلَّا تلبَّثْتُما[1]
أفى ليلةٍ حُمَّ فيها القضاء م تعاقبتُما هل تواعدْتُما
مضى صاحباى فما ودَّعا على غيرِ دأبٍ وما سلَّما
وكنا إذا عَرضتْ فُرقةٌ جَرعْنا أسًى وبكينا دما
وظَلْنا[2] نَعُدُّ زمانَ النوى وقد نَفِدَ الصبرُ إلا ذَما[3]
فهل يُرجعُ الدهرُ عبدَ العزيز م وصاحبَه أو فتى منهما
نبيلان لم تلد الوالداتُ م أعزَّ ولا نَجَلت[4] أكرما
ذوا بَصرٍ بلُباب الأمورِ م إذا أشكل الرأىُ واستبهما
هما أملٌ رفَّ ثم امحَّى فقالوا ذوى يومَ قالوا نما
وبنيانُ بيتٍ رماهُ الردى فهدَّم . ياشدَّ ما هدَّما

(١) الخطاب للشابين العزيزين السيد عثمان أباظه بك وعبد العزيز سليمان أباظه بك وقد توفيا متتابعين فى مدى ثلاثة أيام (٢) ظللنا
(٣) بقية (٤) أعقبت

فقدتُكما أنجماً ضوَّأت وأيكاً أظلَّ وغيثا همى

فما يَرْفُهُ العيشُ مذ بنتما ولا يبرد القلبُ ما غبتما

سأحملُ عبءَ الأسى باكيا مدى العمر حتى ألاقيكما

ألم تعلما أن هذى الدُّنا رُؤًى[1] كاذباتٌ ألم تعلما

طيوف تمرُّ وخلق يكرُّ ويمضى كأخْيِلَةِ السينما

ومن شارف الحيْنَ[2] مستأخراً كمن شارفَ الحيْن مستقدما

وما قهر الموتَ إلا امرؤ تنظَّرَه قدراً مُبرما

فلم يَخْشَه حاضراً مُقدما ولم يَنسه غائباً مُحجما

وما العيشُ إلا طريقُ الإياب وأخلقْ بمن آب أن ينعما

أواخر فبراير سنة ١٩٤٣



(١) جمع رؤية (٢) الحين : الموت .

ساعة في البقيع

يا تُرابَ البقيع راوحَك القطرُ (م)

ووالاك يا ترابَ البقيـــعِ

روضةٌ أنت للكرامِ الميامين (م)

من الكابرينَ صَحْبِ الشفيعِ

المباجيلِ[1] من بُناةِ المعالى

والمصابيحِ من هُداةِ الجموعِ

رَضِيَ اللهُ عنهُم واجتباهم

من قِيامٍ وسُجَّدٍ ورُكوعِ

قهروا الدهرَ بالشهادةِ[2] والأخلاقِ(م)

والنفسَ بالهُدى والقُنوعِ

يومَ جُزنا بابَ النِّساء[3] إلى البطحاءِ (م)

نَسعى فى ذِلَّةٍ وخُشوعِ

---

(١) جمع مبجل (٢) التضحية بالنفس التماساً لبلوغ الجنة .
(٣) باب الحرم النبوى الشريف الموصل للبقيع

رَجَفَ القلبُ رهبةً وتهاوت

من مآقٍ سافحاتُ الدموعِ

قِيلَ هذا عُثمانُ فامْتلت[1] النفسُ (م)

بذكرى هذا الإمامِ الصريعِ

قلتُ يا جامع الكتابِ وما كان (م)

إلى أن رأيتَ بالمجموعِ

يا مُذلَّ الآلافِ في عزةِ الإسلام (م)

تبغي وجهَ البصيرِ السَّميعِ

لِنْتَ للناسِ جانباً فاستخفَّ الناسُ (م)

باللـــيِّن الرفيقِ الوديعِ[2]

عُمَرٌ ساسَهم بعدلٍ عَصِيٍّ

وتداولتَهم بعـــدلٍ مُطيعِ

حينَ أردوكَ ظالمينَ فبلَّ الأرضَ (م)

ذاكِ من فيضِ ذاكَ النجيعِ[3]

---

(١) امتلأت . (٢) الساكن الهادئ . (٣) الدم .

غضب اللهُ واستعاذ رسولُ اللهِ

باللهِ من أثامٍ فظيعِ

* * *

ودَلَفْنا بين القبورِ فجئنا

آخرَ الأمرِ دارَ قومٍ رُتوعِ (1)

يا بيوتَ (2) النبيِّ من كلِّ فُضلى

كرَّمَ اللهُ بالسنِّى المرفوعِ

الأمامِ الموْهوبِ والعاقبِ (3) المروىِّ (م)

عنــه والمُصلحِ المطبوعِ

الذى خُصَّ قبلَ مبعَثهِ الحقِّ (م)

بأَســمى مواهبِ المتبوعِ

قد شهدتُنَّهُ يُفصِّلُ للكونِ (م)

فنوناً من مُحكمِ التشريعِ

---

(1) رتوع أى مستقرون فى خفض ونعيم . (2) يقصد زوجات النبى

(3) من ألقابه صلى الله عليه وسلم ومعناه الذى لا نبى بعده .

فى نظامٍ من البيان فريدٍ

وطِرازٍ من السموِّ بديعِ

فأخذتُنَّ هـذِيَه فاذعْتُنَّ

فكنتُنَّ أنْهُرَ اليَنبوعِ

* * *

ثم مِلنا إلى فُروع رسولِ اللهِ (م)

عَزَّت على الورى من فروعِ

الكريماتِ من كريمٍ مُصَفًّى

والرفيعاتِ من فِراشٍ رفيعِ

مُعطياتِ المضطرِّ فى يوم ضَيْقٍ

مُطعِماتِ المُعترِّ[1] فى يوم جوعِ

رضِيَ اللهُ عنكم واصطفاكم

آلَ بيتِ المُبَرّإِ المشفوعِ[2]

---

(١) الذى يتعرض ليعطى ولا يسأل

(٢) المبرأ والمشفوع من ألقابه صلى الله عليه وسلم

بَسْمَةُ الدهرِ للخليقةِ أتم

واقتبالُ الدُنا ونورُ الربيعِ

وازدهارُ المُنى وإشراقةُ الجدِّ

وسَكْبُ السنَّى وحسنُ الصنيعِ

فسلامُ بين المقاصيرِ فى الخُلْدِ(م)

عليكم وفى الرحابِ الوسيعِ

* * *

أَجهش القلبُ جهْشَةً بالبقيع

وتنزّى[1] فى ركنهِ المصدوعِ

ذكرَ العهدَ عهدَ إلفٍ عزيزٍ

عند عَيْشٍ سَمْحٍ وشملٍ جميعِ

فتـــلاقى حنينُه وحنينى

وتبـارت دموعُه ودموعى

قال لى صاحبى رَجَعْتَ إلى البثِّ(م)

وشيكاً ولاتَ حينَ رُجوعِ

---

(١) تحرك وتواثب

قلت دَعْنى ألا ترى العيشَ أَقوى[1]

يومَ أَقْوَتْ ممن ألفتُ ربُوعى

الصروحُ التى انقضَضْن صُرُوحى

والضلوعُ التى احتَرَقْن ضلوعِى

نبَّهت هذه القبورُ جوى الوجدِ (م)

وهاجت تبَـارِحَ[2] المفجوعِ



---

(١) خلا وأقفر (٢) التبارح والتباريح بمعنى

مطبعة المعارف ومكـ